



موائد متناثرة

مقتبسة من بعض محاضرات الشيخ
إبراهيم بن عبد الله الدويش

WWW.DWAYSH.COM

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ غَمْدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ... أما بعد :

أوراق قلائل تملئها فوائد عظام جمعتها من بعض محاضرات الشيخ
(إبراهيم بن عبد الله الدويش) حفظه الله، سميتها (فوائد متناثرة).
أسأل الله أن ينفع بها وأن يطرح فيها البركة وأن يجزل المثوبة لكل
من قرأها أو نشرها وأسأله سبحانه أن يرزقنا الإخلاص في القول
العمل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(عرفات عبر وعبرات)

قال بعض السلف: من فاته في هذا اليوم القيام بعرفه فليقم لله بحقه الذي عرفه، ومن عجز عن المبيت بمزدلفة، فليبت عزمه على طاعة الله وقد قربه وأزلفه، ومن لم يقدر على خر هديه بمنى، فليذبح هواه هنا، فقد بلغ المنى، ومن لم يصل إلى البيت لأنه منه بعيد، فليقصد رب البيت فإنه أقرب إلى من دعاه من جبل الوريد"

إن للقلوب إقبالاً ولها إدباراً فاغتنموها عند إقبالها، ودعوها عند إدبارها

تمر ساعات أيامي بلا ندم * ولا بكاء ولا خوف ولا حزن
ما أحلم الله عني حيث أمهلني * وقد تماديت في ذنبي ويستترني
أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً * على المعاصي وعين الله تنظرني
دعني أنوح على نفسي وأندبها * وأقطع الدهر بالتسبيح والحزن
دعني أسح دموعاً لا انقطاع لها * فهل عسى عبرة منها تخلصني

رُوي أن زين العابدين علي بن الحسين - رضي الله عنهما - لما أحرم، واستوى على راحلته اصفر لونه وارتعدت فرائصه ولم يستطع أن يلبي، فقيل له: مالك لا تلي؟ فقال: أخشى أن يقال لي: لا لبيك ولا سعديك، فلما لبي غشي عليه.

قال عمر: إني لا أحمل هم الإجابة ولكني أحمل هم الدعاء

في هذا اليوم انشغل ﷺ حتى عن أكله وشربه حتى ظن كثير من الصحابة أنه ﷺ صائم (يقصد يوم عرفة)

صلى الله
عليه
وسلم

يكفيك عن كل مدح مدح خالقه ** واقرأ بربك مبدأ سورة القلم
شهم تشيد به الدنيا برمتها ** على المنائر من عرب ومن عجم

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء بمثلها ما لم يدع بماثم أو قطيعة رحم" فقال رجل من القوم: إذاً نكثر. فقال ﷺ: "الله أكثر"

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

يؤثر عن بعض السلف أنه قال: لو نادى مناد الله في أهل هذا الموقف يقول: إني قد غفرت لأهل الموقف إلا واحداً لحسبت نفسي أني ذلك الرجل.

وينقل الذهبي في السير أن بكر بن عبد الله المزني ينظر إلى الناس يوم عرفة وينظر حالهم فيقول: لا إله إلا الله لولا أني فيهم لقلت غفر الله لهم قال الذهبي معلقاً: كذا ينبغي للعبد أن يزري على نفسه ويهضمها

قال ابن القيم: "ومن أحسن الظن بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه"

من كان يخشى الله جل جلاله فليكثر العبرات في الخلوات

فلعله بعد التذكر والبكاء بُدلت له العبرات بالحسنات

وتُخفف الأوزار عن منشوره يوم الحساب وموقف الحسرات

(تعال نتعاب)

واسمع لابن الجوزي - رحمه الله تعالى - في صيد الخاطر: (فصلٌ أين الخُلُ الوفيُّ؟). كان لنا أصدقاء وإخوانٌ اعتدُّ بهم، فرأيتُ منهم من الجفاء وتركِ شروطِ الصداقةِ والأخوةِ عجائب، فأخذتُ أعتبُ ثمَّ انتبهتُ لنفسي فقلت: وما ينفع العتاب، فإنَّهم إن صلحوا فللعتاب لا للصفاء، فهملتُ بمقاطعتهم، ثمَّ تفكَّرتُ فرأيتُ النَّاسَ بين معارفٍ وأصدقاءٍ في الظاهرِ وإخوةٍ للباطن، فقلت: لا تصلحُ مقاطعتهم إنَّما ينبغي أن ننقلهم من ديوانِ الأخوةِ إلى ديوانِ الصداقةِ الظاهرة، فإن لم يصلحوا لها نقلتهم إلى جملةِ المعارفِ وعاملتهم معاملةِ المعارفِ، ومن الغلطِ أن تعاتبهم فقد قال يحيى بن معاذ: بنسِ الأخِ أحُّ تقولُ له اذكرني في دعائك. ا.هـ.

كان من عادةِ الرَّسُولِ إذا أراد أن يعاتبَ بعضَ أصحابه قال: ((ما بالُ أقوامٍ يفعلون كذا وكذا)).

خُذْ مِنْ صَدِيقِكَ مَا صَفَا لَكَ لَا تَكُنْ جَمًّا الْمَعَابِبُ
إِنَّ الْكَثِيرَ عَتَابُهُ الْإِخْوَانَ لَيْسَ لَهُمْ بِصَاحِبٍ

من لطيف ما ذكر ابن الأثير - رحمه الله - قال: إنما السيد من عدت سقطاته وأخذت غلطاته، فهي الدنيا لا يكمل فيها شيء.

أَعَاتِبُ مَنْ يَلُو بِقَلْبِي عِتَابَهُ ** وَأَتْرِكُ مَنْ لَا أَشْتَهِي لَا أَعَاتِبُهُ

وقال بعض الحكماء: من كثرَ حقدُه قلَّ عتابُه

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُدْعَى كَرِيماً مَكْرَمًا ** حَلِيمًا ظَرِيفًا ضَاحِكًا فَطَنًا حَرًّا
إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ ** فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لَزَلَّتِهِ عُدْرًا

وَلَا خَيْرَ فِي خَلِّ يَخُونُ خَلِيلَهُ ** وَيَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ الْمَوَدَّةِ بِالْجَمَا
وَيَنْكَرُ عَيْشًا قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ** وَيُظْهِرُ سِرًّا كَانَ بِالْأَمْسِ قَدْ خَفَا

وَمَنْ يُطْعِ الْوَاشِينَ لَا يَتْرَكُوا لَهُ صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقْرَبًا

قال يونسُ الصَّدْفِي: مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنَ الشَّافِعِيِّ، نَازِرْتُهُ يَوْمًا فِي مَسْأَلَةٍ تَمَّ افْتِرْقَانَا، وَلَقِينِي
فَأَخَذَ بِيَدِي تَمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُونَ إِخْوَانًا وَإِنْ لَمْ نَتَّفِقْ فِي مَسْأَلَةٍ!؟

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

قال أبو الحسن بن قريش: حضرت إبراهيم الحريّ وجاءه يوسف القاضي ومعه ابنه أبو عمر
فقال له: يا أبا إسحاق، لو جنناك على مقدارٍ واجبٍ حقك لكانت أوقائنا كلها عندك!
فقال: ليس كلُّ عيبَةٍ جفوةٌ ولا كلُّ لقاءٍ مودةً، وإنما هو تقاربُ القلوبِ.

مَسْنِي مِنْ صُدُودِ الْفِي ضُرُّ
مَسْنِي ضُرَّهُ فَأَوْجَعَ قَلْبِي
فَبِنَاتُ الْفَوَادِ مَا تَسْتَقِرُّ
غَيْرَ أَنِّي بِذَلِكَ مِنْهُ أُسْرُ

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِصَالُ امْرِئٍ
فَلَيْسَ عَلَى الْجُودِ وَالْمَكْرَمَاتِ
فَكُنْهُ تَكُنْ مِثْلَ مَا أَعْجَبَكَ
إِذَا جِئْتَهَا حَاجِبٌ يَحْجُبُكَ

"إِنِّي لِأُبْغِضُ الرَّجُلَ أَرَاهُ فَارِعًا لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا وَلَا عَمَلِ الآخِرَةِ" - ابن
مسعود- (رحمه الله)

اليومُ شيءٌ وغداً مثله ** من نُحِبِّ العلمَ التي تَلَنَّقَطُ
يَحْصِلُ المرءُ بها حكمةً ** وإِنَّمَا السَّبِيلُ اجْتِمَاعُ النُّقْطِ

من لي بإنسانٍ إذا أغضبته ** وجهلتُ كان الحِلْمُ رَدَّ جوابه
وإذا طربتُ إلى الحديثِ شربتُ من ** أخلاقه وسكرتُ من آدابه
وتراه يُصغِي للحديثِ بقلبه ** وبسمعه ولعله أدري به

وقفنا وثالثنا عبرةً فيشكو إليّ وأشكو إليه
وولّي يخوضُ دموعاً جرياً من من مقلتي ومن مقلتيه
ويستودعُ الله ما في يديّ وأستودعُ الله ما في يديه

(السهم المسموم)

يا رامياً بسهام اللحظ مجهداً ** أنت القتيل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ** احبس رسولك لا يأتيك بالعطب

كل الحوادث مبداها من النظر ** ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ** فتك السهام بلا قوس ولا وتر

والعبد ما دام ذا عين يقلبها ** في أعين الغيد موقوف على الخطر
يسرّ مقلته ما ضر مهجته ** لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وكما قال ذو النون: اللحظات - أي النظرات - تورث الحسرات، أولها أسف، وآخرها تلف، فمن
طاوع طرفه تابع حتفه، وقد قيل: النظرة كأسٌ من خمر بل الخمر يفيق ويصحو
صاحبها، وسكر النظرة من عشق وتعلق وإعجاب يصعب فواقه !!

ولو أنه سهم واحد لا تقيته ولكنه سهم وثن وثالث!!

وسئل ابن القيم رحمه الله: ما تقول السادة العلماء في رجل نظر إلى امرأة نظرة فعلق
حبها بقلبه، واشتد عليه الأمر، فقالت له نفسه: هذا كله من أول نظرة فلو أعدت النظر
إليها لرأيته دون ما في نفسك فسلوت عنها، فهل يجوز له تعمّد النظر ثانياً لهذا المعنى؟
فكان الجواب: الحمد لله. لا يجوز هذا لعشيرة أوجه: أحدها: أن الله سبحانه أمر بغض
البصر، ولم يجعل شفاء القلب فيما حرّمه على العبد. الثاني: أن النبي ﷺ سئل عن نظر
الفجأة، وقد علم أنه يؤثر في القلب فأمر بمداواته بصرف البصر لا بتكرار النظر.. - إلى أن قال
- والثامن: أن النظرة الأولى سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس، ومعلومٌ أن الثانية أشدّ

سَمّاً: فكيف يتداوى من السمِّ بالسمِّ؟ وختم إجابته بقوله: ولو أنه غَضَّ أَوْلاً لاستراح قلبه
وسلِم.."

وأعقل الناس من لم يرتكب سبباً ** حتى يُفكر ما تجني عواقبه

ما نظرة إلا لها سكرة كأنما طرفك خمّار
هذا هوى يصدر عنه جوى تتلوه لوعات وأفكار

فليس الشجاع الذي يحمي مَطيئته ** يوم التّزال ونار الحرب تَشْتعلُ
لكن فتى غَضَّ طرفاً أو ثنى بَصراً ** عن الحرام فذاك الفارسُ البطلُ

يا ناظراً ما أقلعت لحظائهُ ** حتى تَشحطَ بينهن قتيلا

يا من رأى سقمي يزي - د وعلتي تعيي طبيبي
لا تعجبن فهكذا - تجني العيون على القلوب

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ..﴾ قال ابن عباس: "أي: الرجل يكون في القوم، فتمر بهم المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها، فإن رأى منهم غفلة نظر إليها، فإن خاف أن يفطنوا إليه غض بصره، وقد اطع الله عز وجل من قلبه أن يود لو نظر إلى عورتها" اهـ

خرج حسان بن أبي سنان يوم العيد، فلما رجع قالت له امرأته: كم من امرأة حسناء قد نظرت اليوم؟ فقال: والله ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك إلى أن رجعت إليك.

ابن سيرين يقول: إنني أرى المرأة في المنام فأعرف أنها لا تحل لي، فأصرف بصري عنها.

اسمع لوصية رسول الله ﷺ عندما قال: ((أوصيك أن تستحيي من الله تعالى كما تستحيي من الرجل الصالح من قومك)).

قال أنس: "إذا مرّت بك امرأة فغمض عينيك حتى تجاوزك"

قال ابن الجوزي: "فتفهّم يا أخي ما أوصيك به، إنما بصرك نعمة من الله عليك، فلا تعصه بنعمه، وعامله بغضه عن الحرام تريح، واحذر أن تكون العقوبة سلب تلك النعمة، وكل زمن الجهاد في الغض لحظة، فإن فعلت نلت الخير الجزيل، وسلمت من الشر الطويل". اهـ

(غناء الألسنة)

إِنَّكَ مَا إِنْ تَرَى الرَّجُلَ حَسَنَ الْمَظْهَرِ وَسَيِّمَاهُ الْخَيْرُ، وَقَدْ تَمَسَّكَ بِالسُّنَّةِ فِي ظَاهِرِهِ، إِلَّا وَتَمَعُ الْهَيْبَةُ فِي قَلْبِكَ وَالاحْتِرَامُ وَالتَّقْدِيرُ فِي نَفْسِكَ، وَمَا إِنْ يَتَكَلَّمُ فَيَجْرَحُ فَلَانًا وَيَعْرِضُ بَعْلَانًا، وَيَنْتَقِصَ عَمْرًا وَيَصْنَفَ زَيْدًا، إِلَّا وَتُنَزَعِ الْمَهَابَةُ مِنْ قَلْبِكَ وَيَسْمُطُ مِنْ عَيْنِكَ، وَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ !

نعم ! وإن كان حقاً ما يقول. وإن كان صادقاً فيه ؛ فلا حاجة شرعية دعت لذلك، وإن دعت تلك الحاجة فبالضوابط الشرعية وبالقواعد الحديثية، فإن لم تعلمها أيها الأخ الحبيب، وإن لم تعلمها أيها المسلم، فما نستطيع أن نقول إلا: أمسك عليك لسانك. (إبراهيم الدويش)

رحم الله ابن القيم رحمه واسعة، يوم أن قال في الجواب الكافي: "ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحمُّظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والسرقه وشرب الخمر، ومن النظر المحرم، وغير ذلك، ويصعب عليه التحمُّظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب"

قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي: "وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله تعالى وما اتصل به"

"وحفظ اللسان عن الناس أشد من حفظ الدنانير والدراهم"، كما يقول محمد بن واسع رحمه الله تعالى.

هل قرأت القرآن؟ ومر بك قول الحق عز وجل ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾؟! هل تفكرت في هذه الآية؟!!

إنها الضابط الشرعي ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾
أسمعت أيها الإنسان؟ أسمعت أيها المسكين؟ إنها رقابة شديدة، دقيقة رهيبه، تطبق عليك إطباقاً كاملاً شاملاً، لا تغفل من أمرك دقيقاً ولا جليلاً، ولا تفارقك قليلاً ولا كثيراً، كل نفس معدود، وكل هاجسة معلومة، وكل لفظ مكتوب، وكل حركة محسوبة، في كل وقت وفي كل حال، وفي أي مكان!

عندها؛ قل ما شئت، وحدت بما شئت وتكلم بمن شئت، ولكن اعلم أن هناك من يراقب، اعلم أن هناك من يسجل، وأن هناك من يعد عليك هذه الألفاظ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾. (إبراهيم الدويش)

قال ابن عباس في قوله «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ»، قال: يكتبُ كُلُّ ما تكلموا به من خيرٍ وشرٍّ، حتَّى إنَّه ليكتبُ قولك: أكلتُ، شربتُ، ذهبتُ، جئتُ، رأيتُ، حتَّى إذا كان يومُ الخميسِ عُرضَ قوله وعمله فأقرَّ منه ما كان فيه من خيرٍ أو شرٍّ، وألقيَ سائرُه .

﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾
 ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾
 ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

فعن بلال بن حارث المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ: يَكْتُبُ اللَّهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ: يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) والعيادُ بالله!
 وكان علقمهُ يقول: كم من كلامٍ قد منعيه حديثُ بلالِ بنِ الحارثِ.

قال رجلٌ: رأيتُ ابنَ عباسٍ رضي الله عنه أخذاً بثمرَةِ لسانِه - يعني مُمسكاً به - وهو يقول: "ويحك قل خيراً تغنم، واسكت عن شرٍّ تسلم، قال: فقال له رجلٌ: يا ابنَ عباس، ما لي أراك أخذاً بثمرَةِ لسانك تقولُ كذا وكذا؟! قال ابنُ عباس: بلغني أن العبدَ يومَ القيامةِ ليس هو على شيءٍ أحنقُ منه على لسانِه".

قال عبدُ الله بن أبي زكريا "عاجتُ الصَّمتَ عشرين سنةً، فلم أقدر منه على ما أريد"

وكان طاووس بن كيسان رضي الله عنه يعتذرُ من طولِ السكوتِ ويقولُ: "إني جربتُ لساني فوجدته لئيماً راضعاً!"

وذكر هنادُ بن السري في كتابه (الرُّهد) بسنده إلى الحسنِ أنه قال: "يخشون أن يكون قولنا (حميدُ الطَّويلُ) غيبةً"، يخشون أن يكون غيبةً مع أنهم قالوه تمييزاً عن غيره وللتعريف به، وليس طعننا فيه!! وهذا غاية في الورع، وقمة في المحاسبة .

وأخرج وكيعُ في الرُّهد، وأبو نعيم في الحلية، من طريق جرير بن حازم قال: ذكر ابن سيرين رجلاً فقال: ذلك الرجلُ الأسودُ - يريدُ أن يعرفه -، ثم قال: أستغفرُ الله، إني أراني قد اغتبتُه.

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

وكان عبد الله بن وهب رحمه الله يقول: "نذرتُ أنّي كلّما اغتبتُ إنساناً أن أصومَ يوماً ، فكنيتُ أغتابُ وأصومُ فأجهدني، فنويتُ أنّي كلّما اغتبتُ إنساناً أن أتصدقَ بدرهم، فمن حُبِّ الدّراهمِ تركتُ الغيبةَ ."

قال النووي في الأذكار: بلغنا أنّ قسّاً بن ساعدة، وأكثرهم بن صيفي اجتمعوا فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟!، فقال: هي أكثر من أن تُحصى، والذي أحصيته: ثمانية آلاف عيب!، فوجدتُ خصلةً إن استعملتها سترت العيوبُ كلّها، قال ما هي؟!، قال: حفظُ اللسان!!؟

قال أبو هريرة رضي الله عنه: "يبصرُ أحدكم القذى في عين أخيه، وينسى الجذل-أو الجذع- في عينه!!؟"

قال عون بن عبد الله: "ما أحسبُ أحداً تفرَّعَ لعيوبِ النَّاسِ إلا من غفلةٍ غفلها عن نفسه"

قال بكر بن عبد الله المزني: "إذا رأيتم الرجلَ مولعاً بعيوبِ النَّاسِ ناسياً لعيبه، فاعلموا أنّه قد مُكّر به"

إذا رمت أن تحبى سليماً من الردى *** وديئك موفور وعرضك صيّن
فلا ينطقن منك اللسان بسوءة *** فكلك سوات وللناس السنن

وعينك إن أبدت إليك معايباً *** فدعها، وقل: يا عين للناس أعين
وعاشرٍ بمعروفٍ وسامحٍ من اعتدى *** ودافع، ولكن بالتى هي أحسن

اسمع لكلام ابن الجوزي الجميل في (تلبيس إبليس) قال: "وكم من ساكتٍ عن غيبةِ المسلمين إذا اغتیبوا عنده فرح قلبه، وهو آثمٌ بذلك من ثلاثة وجوه:

- أحدها: الفرح، فإنه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب.
- والثاني: لسروره بثلب المسلمين .
- والثالث: أنه لا يُنكر". انتهى كلامه رحمه الله.

ويقول ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى -وانتبه لهذا الكلام النفيس - : "ومنهم من يخرجُ الغيبةَ في قوالبِ شتى، تارةً في قالبِ ديانةٍ وصلاحٍ، فيقول: ليس لي عادةٌ أن أذكرَ أحداً إلا بخير، ولا أحبُّ الغيبةَ ولا الكذبَ وإنما أخبركم بأحواله، ويقول: والله إنه مسكين، أو رجلٌ جيّدٌ ؛ ولكن فيه كيت وكيت، وربّما يقول: دعونا منه، الله يغفر لنا وله؛ وإنما قصده استنقاصه وهضماً لجنايه، ويخرجون الغيبةَ في قوالبِ صلاحٍ

وديانة، يخادعون الله كما يخادعون مخلوقاً، وقد رأينا منهم ألواناً كثيرة من هذا وأشباهه ."

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً *** وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الأذهانُ منه *** على قدر القرائح والفهوم

إِنَّا نَعْمَلُ أَوْ نَتَغَافَلُ، فَتَكَلَّمُ فِي الْمَجَالِسِ وَنَذَكُرُ الْعِشْرَاتِ بِأَسْمَائِهِمْ، فَإِذَا ذَكَّرْنَا مُذَكَّرًا أَوْ حَدَّرْنَا غَيُورًا بِأَنَّ هَذِهِ غَيْبَةٌ قُلْنَا: هَذَا حَقٌّ! وَمَا قُلْنَا فِيهِ صَحِيحٌ! وَقَدْ يَسْرُدُ لَكَ الْأَدَلَّةُ وَالْبِرَاهِينَ عَلَى مَا يَقُولُ فَيَزِيدُ الطَّيْنَ بِلَّةً!
فيا سبحان الله !

أليس النصُّ واضحاً وصرحاً؟! ألم يقل الصَّحَابِيُّ لرسول الله ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهْتَهُ)).

رُبَّ كَلَامٍ جَوَابُهُ السُّكُوتُ، وَرُبَّ سَكُوتٍ أْبْلَغُ مِنْ كَلَامٍ، وَعَلَّمَتْنِي الْحَيَاءُ أَنَّ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ مِنْ أَحْسَنِ الشَّيْمِ .

قالوا سكتت وقد خوصمت، قلت لهم ** إنَّ الجوابَ لبابِ الشرِّ مفتاحُ
الصَّمْتِ عن جاهلٍ أو أحمقٍ شرفٌ ** أيضاً وفيه لصونِ العِرضِ إصلاحُ
أما ترى الأسدُ تخشى وهي صامتةٌ ** والكلبُ يخشى لعمرى وهو نباحُ

كثيرٌ من الجلساءِ إذا دُكِرَ له صديقُه: أثنى عليه ولو كان يعلمُ أنه لا يستحقُّ ذلك التَّنَاءِ،
وإذا دُكِرَ له خصمه ذمُّه ولو كان يعلمُ أنه خلافُ ما يقولُ !!

فيا أيُّها المؤمنُ! أسألك بالله! هل تستطيعُ أن تذكرَ العيوبَ الموجودةَ في أقربِ النَّاسِ إليك
عندَ الحاجةِ الشرعيَّةِ لذلك؟! اسأل نفسك! وهل تستطيعُ أن تثني بصدقٍ على إنسانٍ
تختلفُ معه في بعضِ الأمور؟!!

أنا لا أريدُ الإجابةَ، ولكنَّ الواقعَ يشهدُ على أنَّ أكثرَ النَّاسِ يَـجُورونَ على خصومهم
فيذمُّونهم بما ليس فيهم، ويَـجُورونَ أيضاً على أصدقائهم فيمتدحونهم بما ليس فيهم،
فإنَّ من أثنى عليك بما ليس فيك فقد ذمَّك! نعم! لأنَّ النَّاسَ يطلبونَ هذه الخصلةَ التي
ذكرها فيك، يطلبونها فيك فلا يجدونها فيذمُّونك على فقدها!

لا! بل الأمرُ أدهى من ذلك وأشدُّ؛ فإنَّ الحقيقةَ أنه كثيراً ما تُنسى العيوبُ القليلةُ المحاسنُ
الكثيرةُ - انتبهوا لهذه الكلمة - ونسى القاعدةَ الشرعيَّةَ: إذا كان الماءُ قَلْتين، لم يحملِ
الخبثَ.

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

أفلا نتقى الله عند الجرح والتعديل ونزل الناس منازلهم. أليس قد أثنى ﷺ على النجاشي ووصفه بأنه " ملك لا يظلم عنده أحد"، مع أنه حينها - أي النجاشي - كان كافراً لم يسلم.

فيا أيها المحب، أسمعت رعاك الله: أنصف الناس، وأنصف نفسك، فإن غلب عليك الهوى فأمسك عليك لسانك لا أبا لك.

قال أبو عثمان: ابن الإمام الشافعي رحمه الله عليهما: ما سمعت أبي يناظر أحداً قط، فرفع صوته .

إذا ما كُنتَ ذا فضلٍ وعلمٍ *** بما اختلف الأوائِلُ والأواخرُ
فناظرٍ من تناظرٍ في سكونٍ *** حليماً لا تلح ولا تكابرُ
يفيدُك ما استفادَ بلا امتنانٍ *** من التُّكَّتِ اللطيفةِ والتَّوادرُ
وإيَّاكَ اللُّجُوجُ، ومن يراني *** بأنِّي قد غلبتُ ومن يفاخرُ
فإنَّ الشرَّ في جنِّباتِ هذا *** يُمَنِّي بالتَّقاطعِ والتَّدابُرُ

قال عطاء بن أبي رباح: إنَّ الشابَّ ليتحدَّثُ بالحديثِ، فأسمعُ له كأني لم أسمعه ولقد سمعته قبل أن يُولدَ.

يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى عليه: لم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا، ولا أدركت أحداً أقتدي به يقول في شيء: هذا حلالٌ وهذا حرامٌ، ما كانوا

يُحترئون على ذلك وإنما يقولون: نكره هذا، ونرى هذا حسناً، ونتقى هذا، ولا نرى هذا، ولا يقولون: هذا حلالٌ وهذا حراماً.

واسمع لفقهِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ يومَ أن جاءَ رجلٌ فقالَ له: إنَّكَ تغتابني، فقال: ما بلغَ قدركَ عندي أن أحكمَكَ في حسناتي.

وعن ابن المبارك رحمه الله قال: لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبتُ والدي؛ لأنَّهما أحقُّ بحسناتي.

قال إبراهيم التيمي: إنِّي أجدُ نفسي تُحدِّثني بالشيءِ، فما يمنعني أن أتكلَّم به إلا مخافةً أن أبتلى به.

قال ابن مسعود: البلاءُ مُوكَلٌّ بالقولِ، ولو سخرتُ من كلبٍ لخشيتُ أن أحوَّلَ كلباً.

(موقف المسلم في الأزمات)

أيها المسلمون: إن أول خطوة في سبيل التغلب على الأحداث . والخروج من النكبات سالماً وغانماً، هي البدء بإصلاح النفس ومحاسبتها (إبراهيم الدويش)

"إن الذي يقول أستغفر الله وهو مصر على ذنبه هو كالمستهزئ بالله عز وجل"

قال ابن القيم : "التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه جميعاً فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها" ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ أما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله... هذه سنة الله في عباده ، فما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد. ولذلك كان دعاء الكرب في

التوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته في التوحيد. فلا يلقي في الكرب العظام إلا الشرك ولا ينجي منها إلا التوحيد. فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياتها وبالله التوفيق .

يقول ابن تيمية: "والناس وإن كانوا يقولون بألسنتهم لا إله إلا الله، فقول العبد لها مخلصاً من قلبه: له حقيقة أخرى"

متفائل باليسر دون جياذ	متفائل واليأس بالمرصاد
وسماؤنا شمس وصحو بادي	متفائل بالغيث يسقي أرضنا
إن السما تبكي فيحيا الوادي	متفائل يا قوم رغم قنوطكم

فالمسلم في كل أحواله وخاصة في الفتن والأزمات مطالب بأن يربط على قلبه. فلا يُطلق له العنان فيحب من يشاء ويبغض من يشاء، أو أن يوالي ويعادي حسب مصالحه وهواه. بل هو مطالب برضا الله ولذا كان ((أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله والمعادة في الله. والحب في الله والبغض في الله)) كما ثبت عن رسول الله ﷺ .

ليعلم كل مسلم وخاصة الشباب أن أعظم سلاح عند الأزمات هو: سلاح العلم الشرعي. ومن تأمل في الأحاديث النبوية الواردة في الفتنة علم قوة هذا السلاح ونفعه. عن حذيفة رضي الله عنه قال: ((لقد قام رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله.. يقول ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وكثير الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل القتل حتى يكثر فيكم المال فيفيض)). وقال ﷺ: ((إنه سيصيب أمتي في آخر الزمان بلاء شديد لا ينجو منه إلا رجل

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

عرف دين الله فجاهد عليه بلسانه وقلبه)). فالعلم الشرعي مطلب مهم بل هو أعظم سلاح لمواجهة الفتن والأزمات حتى يكون المسلم على بصيرة من أمر دينه وإذا فقد المسلم العلم الشرعي تحبط في هذه الفتن وربما هلك. (إبراهيم الدويش)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إذا انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا في ظلمة الفتن وحدثت البدع والفجور ووقع الشر بينهم".

وقال سماحة الشيخ بن باز رحمه الله: "فكل أنواع الفتن لا سبيل للتخلص منها والنجاة منها إلا بالتفقه في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومعرفة منهج سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم ومن سلك سبيلهم من أئمة الإسلام ودعاة الهدى".

"أعز الله الدين بالصدِّيق يوم الردة وبأحمد يوم المحنة"

وكان ابن القيم يقول: "كنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت بنا الظنون، أتينا - يعني شيخه ابن تيمية - فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه حتى يذهب ذلك كله، ويتبدل أمانا وظمأنينة"

قال أبو هريرة رضي الله عنه: "حفظت من رسول الله ﷺ وعائين، فأما أحدهما: فبثثته، وأما الآخر: فلو بثثته قطع هذا البلعوم" قال أهل العلم كتم أبو هريرة بعض الأحاديث لأجل أن لا يكون هناك فتنة وخصوصاً بعد أن اجتمع الناس على معاوية بعد فرقة. ولما حدث أنس بن مالك بحديث قتل الرسول ﷺ للعربيين زمن الحجاج، أنكر عليه الحسن البصري التابعي الجليل لأن الحجاج عاث في الدماء، وربما أخذ هذا الحديث وتأوله على صنيعة فكان الأولى كتم الحديث عن الحجاج .

عن الشعبي قال: لما كان الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية أراد الحسن الخروج من المدينة فقال له معاوية: ما أنت بالذي خرج حتى تخطب في الناس. قال الشعبي: فسمعته على المنبر حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن أكيس الكيس التقى وإن أعجز العجز الفجور وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية حتى كان لي فتركته لمعاوية وإنما فعلت ذلك لحقن دمائكم ثم نزل .

عُثَاء الألسنة عند الأزمات يزكم الأنوف، ويصم الآذان، ويصيبك الغثيان والدُّوَارُ، فحديث كثير من المجالس اليوم يندى لها الجبين، ويحرق القلب الغيور، لا أقول مجالس العامة ودَهْمَاءِ النَّاسِ فقط، بل وللأسف.. وأقولها بكل أسى: حتى الكثير من مجالس الصالحين، ومجالس المعلمين والمتعلمين تدليس وتلبيس، وتزييف للحقائق وتقليب للأموار، وتجريح وهمز و لمز وسوء الظن، ودخول في المقاصد والنيات، والنتيجة: بثُّ الوهنِ والمُرقةِ والخصامِ والنِّزاعِ بين المسلمين، وإخماء العزائم وإشعال الفتن بالقييل والقيل. ورضي الله عن عمر يوم قال: "إياكم والفتن فإن وقع اللسان فيها مثل وقع السيف". (إبراهيم الدويش)

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

قال الإمام النووي رحمه الله في كتاب "الأذكار" قال: "فصل: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسائه عن جميع الكلام إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء"

عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول في الفتنة بين الصحابة: " تلك دماء طهر الله منها سيوفنا، فلا تحضب بها أسنتنا"

﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم﴾ ومن الحذر: التواصي بين المسلمين أنفسهم برفع الروح المعنوية والثقة واليقين برب العالمين خاصة في أوقات الفتن، فالمسلم الصادق لا تزيده الفتن والأزمات إلا ثقة بربه، وعزة بدينه، ويقينا بنصر الله له ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليماً﴾.

يقول الشافعي رحمه الله: "كل ما أقام به الله الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصا بينا، لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه".

وعد الله المؤمنين فقال: ﴿وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾ هذا هو الشرط: التوحيد. ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾ إنها النفس الموحدة الواثقة تمتلئ بالطمأنينة والسكينة حتى في أشد المواقف، وأصعب الظروف، ﴿والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ "وقال: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ يقول ابن كثير في تفسير الآية: أي قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بأن النصر له وكتابته ورسالته وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة ﴿فإن العاقبة للمتقين﴾ كما قال تعالى: ﴿إنا لننصر رسنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وهم اللعنة وهم سوء الدار﴾.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث معقل بن يسار رده إلى النبي ﷺ قال: ((العبادة في الهرج كهجرة إلي)). قال النووي: "المراد بالهرج هنا: الفتنة واختلاط أمور الناس. وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد"

وعند مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)). قال النووي: "معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم."

يقول ابن القيم ..ولا ريب أن من وفق لهذا الافتقار علما وحالا وسار قلبه في ميادينه بحقيقة وقصد، فقد أعطي حظه من التوفيق، ومن حرمه فقد منع الطريق والرفيق، فمتى

أعين مع هذا الافتقار ببذل الجهد في درك الحق فقد سلك الصراط المستقيم . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

في البخاري قول النبي ﷺ: ((أيها الناس! لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية . فإذا لقيتم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلل السيوف)).

قال خيثمة :قال عبد الله:إنها ستكون هنات وأمور مشتبهات فعليك بالتؤدة فتكون تابعاً في الخير،خير من أن تكون رأساً في الشر.

وربما قال قائل: الحل في الجهاد ذروة سنام الإسلام . ورسول الأنام عليه الصلاة والسلام حدثنا فقال: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم". فأقول: صدقت وهذا هو الواقع. ولكن الجهاد بالنفس له أصوله وشروطه وضوابطه المستقاة من الكتاب والسنة وكلام سلف هذه الأمة . وتطبيقه على واقع معين يحتاج إلى فقه دقيق من أهل الحل والعقد الراسخين في العلم . ولا شك في فضله وعظم منزلته وعظم أجر الشهيد . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : "ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا " ولكن مفهوم الجهاد أوسع من أن يكون مقتصرًا على جهاد النفس. فنحن هنا محتاجون إلى الجهاد بمفهومه العام فالجهاد - بالقلم وباللسان، وبالذمة وبالبيان، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم - قائم ينتظر من كل مسلم ومسلمة جاد صادق أن ينضوي تحت لوائه، وما هو معلوم أن الدعوة مقدمة على القتال، فالقتال لم يشرع لذاته، إنما يشرع عند الحاجة إليه، والقدرة عليه، وفي الحديث المتفق عليه أنه ﷺ أعطى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الراية، فقال علي: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى

يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ ﷺ: " انْمُدَّ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ " .

لكن قد لا ترضى بعض النفوس الغيورة إلا بجهاد النفس فقط، حتى وإن لم يتم الإعداد الذي أمر الله به المؤمنون بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ . ولنا أن نسال أنفسنا بصدق: هل الأمة الإسلامية اليوم مهيأة لرفع راية الجهاد بحق؟ وهل الأمة اليوم على مستوى أفرادها تحرص فعلاً على التربية الجادة في شئون حياتها كلها؟ أم أنها تنحدر في الترف والمعاصي والشهوات؟ أليست المعركة الاقتصادية والتقنية والفكرية والإعلامية أولاً؟ وهذا لا يمنع من الإعداد العسكري وتهيئة النفوس وتربية الأمة تربية جهادية، لكن على الفرد المسلم أن يدرك أن له دوراً كبيراً في محاربة الأعداء وإفشال خططهم، وذلك بالتفاعل مع هموم الأمة وقضاياها بكل الإمكانيات المتاحة له، والقيام بدور فعال، لكن احذر أخي استطالة الطريق مادمت عاملاً مخلصاً متبعاً، صابراً محتسباً، فأكثر الناس يريدون أعمالاً سريعة ونتائج عاجلة، وإلا فهم في زعمهم فاشلون منهزمون، وبالتالي فمجتمعهم فاشل منهزم..ومن هنا ينشأ اليأس والإحباط، والنجوى وسوء الظن، ثم التعلق بالشعارات

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

الحماسية والعاطفية . إذا فالمسلم مطالب بإعداد القوة لمجابهة الأعداء، ليس فقط العسكرية بل القوة في العلم، والقوة في الإيمان، والقوة في النفس، وقوة العقل والإبداع ، وقوة الدعوة والمحاوره ، حقاً إن الجهاد ذروة سنام الإسلام، لكن في حينه وأصوله وشروطه، فاحذر من استعجال الحرب وتمني لقاء العدو. (إبراهيم الدويش)

الْحَرْبُ أَوْلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةٌ تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهْوَلٍ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضَرَامُهَا وَتَتْ عَجُوزًا عَيْرَ ذَاتِ حَلِيلٍ
شَهْمَاءَ يُنْكِرُ لَوْنَهَا وَتَعَيَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ

وقال النعمان بن بشير: "إنه لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتن فأعدوا للبلاء صبراً "

احذر أن تكون وقتياً تنطفئ بهدوء أو خمود الأزمة، فقد اعتاد الكثير من المسلمين بل وللأسف حتى بعض المؤسسات الإسلامية، اعتادوا النهوض والعمل مجد وقت الأزمة، والخمول والفتور بعد هدوئها أو انتهائها، ولا عجب فقد سكنت العواطف، وخف الحماس، ونسيت الحادثة، وعاد المتحمس إلى غفلته، ولننظر لقضية الشيشان مثلاً؟ أين المسلمون عنها هذه الأيام؟ بل لننظر قضية فلسطين وبرودها

في نفوس البعض من المسلمين لمجرد جرح أفغانستان. فإلى متى وأعمال الكثير منا وقتية تزول بزوال فورة الحدث. (إبراهيم الدويش)

(توجيهات وأفكار في التربية)

قال الإمام الماوردي: "فأما التأديبُ اللازمُ للأب فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها وينشأ عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستئناسه بمبادئها في الصغر، لأن نشأة الصغير على شيء تجعله متطبعاً به، ومن أغفل في الصغر كان تأديبه في الكبر عسيراً".

املاً قلب صغيرك بخوف الله، وأخبره بأن الله يراه في كل مكان، وأنه مطلع عليه في كل حال، فإذا كذب قل له : إن الله يعلم ما تخفي ، وإن الكاذب في النار ، وإذا سرق فقل له : إن الله يراك وإن الله يغضب على السارق ، وإذا عصاك فقل له : إن الله يغضب عليك ، وإذا أطاعك فقل له : إن الله يحبك ، هكذا في كل أفعاله ذكره بالله سبحانه وتعالى . (إبراهيم الدويش)

حماد بن زيد يقول : كنت أسير مع أبي فمررنا من جدار فيه تبن فأخذت عود تبن ، فقال لي أبي : لم أخذت؟! - ينهرني - فقلت : إنه عود تبن! فقال أبي : لو أن الناس كلهم مروا من هاهنا فأخذوا عود تبن هل كان يبقى في الجدار تبن يا بني؟!

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

سهل التَّسْئِرِي يَقُولُ : " كُنْتُ مَعَ خَالِي صَغِيرًا وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثِ سِنِينَ وَكَانَ يَقُولُ لِي: انظُرْ أَلَا تَذَكُرُ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكَ ؟ قَالَ : كَيْفَ أَذْكَرُهُ ؟ قَالَ لِي خَالِي مُحَمَّدُ بْنُ سِوَارٍ : قُلْ بِقَلْبِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ حَرَّكَ بِهِ لِسَانَكَ : اللَّهُ مَعِي ، اللَّهُ نَاطِرٌ إِلَيَّ ، اللَّهُ شَاهِدِي ، ثَلَاثًا ثُمَّ سَبْعًا ثُمَّ أَحَدَ عَشَرَ . "

ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ: " أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ كَانَتْ تَلَقُّنُ أَنْسَاءَ وَلَدِهَا الشَّهَادَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ سِنَتَيْنِ . "

يُرَوَّى فِي سِيرَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ تَوْقِظُهُ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ فَتَسْخِنُ لَهُ الْمَاءَ فَيُصَلِّي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّي ، ثُمَّ إِذَا أَدَّانَ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ أَخَذَتْ بِيَدِهِ وَسَارَتْ مَعَهُ حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الْمَسْجِدَ ثُمَّ قَبِعَتْ عِنْدَ عَتَبَةِ الْمَسْجِدِ تَنْتَظِرُ صَغِيرَهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنَ الصَّلَاةِ ، فَإِذَا أَنْتَهَى أَخَذَتْ بِيَدِهِ وَأَرْجَعَتْهُ إِلَى بَيْتِهَا .

وليس التَّبْتُ يَنْبَتُ فِي جَنَانٍ كَمَثَلِ التَّبْتِ يَنْبَتُ فِي فَلَائِ
وَهَلْ يُرْجَى لِأَطْفَالٍ كَمَالٌ إِذَا ارْتَضَعُوا تُدِيَّ النَّاقِصَاتِ !؟

عَمَرُ بْنُ عَبْتَةَ يَنْبَهُ مَعْلَمٌ وَلَدَهُ لِأَمْرٍ فَيَقُولُ : " لِيَكُنْ أَوَّلَ إِصْلَاحِكَ لَوْلَدِي إِصْلَاحُكَ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ عِيُونَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْنِكَ ، فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا صَنَعْتَ ، وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا تَرَكْتَ " .
إِذَنْ فَلْيَسْمَعْ الْآبَاءُ وَلْتَسْمَعْ الْأُمَّهَاتُ ، وَلْيَسْمَعْ الْمُدْرَسُونَ وَلْتَسْمَعْ الْمُدْرَسَاتُ ، إِنَّكُمْ مَهْمَا قَلْتُمْ فَأَوْلَادُكُمْ وَطِلَابُكُمْ يَفْعَلُونَ مَا فَعَلْتُمْ ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْمُدْوَةِ ، وَإِنَّ الْأَزْمَةَ الَّتِي يَعِيشُهَا التَّلْعِيمُ الْيَوْمَ فِي الْأُمَّةِ أَجْمَعٍ هِيَ أَزْمَةُ قِدْوَاتٍ . (إبراهيم الدويش)

وَقَدْ كَانَ عَمْرٌ يَمْشِي عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَأَوْلَادُهُ عَلَى ظَهْرِهِ يَلْعَبُونَ وَهُوَ يَسِيرُ بِهِمْ كَالْحِصَانِ ، فَيَرَاهُ بَعْضُ النَّاسِ فَيَقُولُونَ لَهُ : أَتَفْعَلُ ذَلِكَ وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فِي أَهْلِهِ كَالصَّبِيِّ - أَي فِي الْأَنْسِ وَسَهْوَلَةِ الْخَلْقِ ، هَكَذَا نَكُونُ مَعَهُمْ فِي الْبَيْتِ - فَإِذَا كَانَ فِي الْقَوْمِ كَانَ رَجُلًا .

يَقُولُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَقْوَمُ التَّقْوِيمِ مَا كَانَ فِي الصَّغَرِ ، فَأَمَّا إِذَا تَرَكَ الْوَلَدُ وَطَبَعَهُ فَنَشَأَ عَلَيْهِ وَمُرْنٌ ، كَانَ رَدُّهُ صَعْبًا .

إِنَّ الْعَصُونَ إِذَا قَوْمَتْهَا اعْتَدَلَتْ وَلَا يَلِينُ إِذَا قَوْمَتْهُ الْخَشَبُ
قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي مَهَلٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ فِي ذِي الشَّيْبَةِ الْأَدَبُ

إِذَا أَخْطَأَ الطِّفْلُ خَطَأً غَيْرَ مَقْصُودٍ أَوْ حَرَصَ الطِّفْلُ عَلَى إِخْفَاءِ ذَلِكَ الْخَطَأِ فَلَا تَفْضَحِ الطِّفْلَ ، وَإِنَّمَا حَاوَلَ التَّغَافُلَ عَنْهُ وَإِظْهَارَ عَدَمِ انْتِبَاهِكَ لِمِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ ، لِأَنَّهُ إِذَا تَعَوَّدَ كَثْرَةَ

المعاتبه خاصه والصغير كثير الأخطاء غير المقصوده فإنه إذا عاد للخطأ مرة أخرى وتعود على كثرة المعاتبه تعود على الرجوع لهذه الأعمال أيضاً مرات وكثرات .
 وإن عاد للخطأ الذي أخفاه ثانية فأقول : ينبغي أن يعاقب سراً وليس كل خطأ أو زلة توجب العقاب والزجر . (إبراهيم الدويش)

هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين للمؤدب قال له : يا أحمر : إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمره قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعتك له واجبة ، فكأن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلّمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أبى فعليك بالشدة والغلظة ...

هذي الأزهار الحمراء من أين سيأتيها الماء ؟
 من يسقيها وينميها ويزينها بالألوان ؟
 الله رب الأكوان
 هذا نمل ما أصغره يمشي هوناً ما أصبره
 من علمه هذا الصبرا ؟ من أسكنه هذا الوكرا ؟
 الله تعالى علمه الله تعالى ألهمه
 هذا خل من علمه من زهرات قد أطعمه ؟
 من ألهمه أن يعطينا عسلاً فيه شفاء الناس ؟
 الله تعالى الرحمن
 هذا جمل ما أكبره لا يعصينا إذ نأمره
 طفل مثلي يمشي معه كي يركبه في الصحراء
 الله تعالى ألهمه أن يبرك حتى نركبه
 هذا طفل دون الفهم من علمه ثدي الأم ؟
 من عوده أن يرضعه ؟ أن يأخذه عند الجوع ؟
 الله تعالى الرحمن
 هذا بصر من واهبه ؟ من في الإنسان يركبه ؟
 من يملك هذا الإنسان وله قد أعطى الأذان ؟

أقول : أي أثر سبقه مثل هذه الكلمات في نفس الطفل !

قال الغزالي : ولو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ، ولما قال رسول الله ﷺ ((حسنوا أخلاقكم)) وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن ، إذ ينقل البازي - أي : الصقر - من الاستيحاش إلى الأنس ، والكلب من شره الأكل إلى التأديب والإمساك والتخليّة ، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد ، وكل ذلك تغيير للأخلاق ، فإذا كان هذا ممكناً في حق الحيوان الأعجم ففي حق الولد الذي هو أعدل وأقدر على الفهم من البهيمة أولى .

(تعالوا نطلب العلم)

حكم طلب العلم قسمان : قسم طلبه ومعرفته فرض عين على كل مسلم ومسلمة . وهو ما يحتاجه المسلم ليعلم كيف يعبد ربه أمثال : معرفته بعقيدة التوحيد، وخطورة الشرك ، وكيفية الوضوء والصلاة ، والصوم والحج والزكاة وكل ما لا يسع المرء جهله في أمور دينه التي لا يقوم الدين إلا بها . ومع عظم هذا القسم وفرضيته ، قصر فيه كثير من الناس بل حتى الكثير من المتعلمين ومن يحملون الشهادات الجامعية ، وأنت وأنا نرى كل يوم مشاهد ومواقف تُخزي في أخطاء في أركان الدين من وضوء وصلاة وحج وغيرها ، ومن متعلم جامعي ، فإذا كان الناس قد قصرُوا في هذا وهو فرض عليهم ، فما رأيك في القسم الثاني الذي هو فرض كفاية وهو أن ينفر طائفة من المسلمين ليتفقهوا في الدين وأحكامه ومسائله وفروعه ونوازله ، وهؤلاء هم الذين قال عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنما مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة" . (إبراهيم الدويش)

قال ميمون بن مهران : " إن مثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد "

وقال بعض الحكماء : "مثل العلماء مثل الماء حيثما سقطوا نفعوا" .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتدرون ما ذهاب العلم؟ قلنا: لا. قال: ذهاب العلماء.

يقول الإمام أحمد رحمه الله : "الناس أحوج إلى العلم ، منهم إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثاً والعلم يحتاج إليه في كل وقت" .

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : " من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح " .

أخي المعلم : تأمل كلمات كتبتها في دفتر طالب ، كقولك مثلاً " أتمنى أن تكون عالماً من علماء الأمة " ، أو " أوصيك بطلب العلم والصبر عليه ، فإنني أتحايل فيك الذكاء " أو غيرها من العبارات ، كيف سيكون لها عميق الأثر في نفس ذلك الطالب ، والذي ربما يتخيل تلك الكلمات معه تتراقص أمام ناظره حثثه وتشجعه تارة ، وتملاً نفسه بالأمل والأمنيات تارة ، حتى أصبحت واقعة حياً ، أنتجت عالماً أو طالب علم ينفع الله به الأمة ، ويكون لك مثل أجره ، إنك أيها المعلم صانع للرجال ، فلا تحرم نفسك الخير ، ولا تحرم الأمة من شبابها ، ربما ارتفع طلابك بكلمة طيبة منك ، وربما أحبطوا فهو بكلمة منك أيضاً ، فكم الآن من الطلاب بين يديك ينتظرون منك الهندسة الفكرية لعقولهم . (إبراهيم الدويش)

قال أحدهم عن الشافعي رحمه الله: "رأيت بمكة فتى لئن بقي ليكون رجل الدنيا".

العلم كثر عظيم ، وله فضل عميم ، ولأهله منزلة عالية ودرجة رفيعة واسمعوا لهذه النصوص والآثار بتدبر واعتبار وهي على سبيل الإيجاز والاختصار. قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ . وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ فبدأ سبحانه بنفسه وثنى بملائكته وثالث بأهل العلم وكفاهم ذلك شرفاً وفضلاً وجلالة ونبلاً . وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧) . وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣) . وفي القرآن بضعة وأربعون مثلاً ، وكان بعض السلف إذا مر بمثل لا يفهمه يبكي ويقول: لست من العالمين .

يروى عن معاذ بن جبل ؓ أنه قال : "تعلموا العلم ، فإن تعليمه - لله - خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة ، وهو الأنس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة ، وأئمة يقتص آثارهم ، ويقتدى بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة في خلتهم ، وأجنتها تمسحهم ، يستغفر لهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصايح الأبصار من الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، والتفكير فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال من الحرام ، هو إمام العمل ، والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء".

وحفصه بنت سيرين أم الهذيل حفظت القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة . واشتهرت فيما بعد برواية الحديث ، وكان أخوها محمد بن سيرين إذا أشكل عليه شيء في القرآن يقول : اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ .

وعائشة بنت يوسف بن أحمد الباعونية هي الشيخة الأريية ، العالمة الفاضلة قالت عن نفسها "أهلني الحق لقراءة كتابه العزيز ، ومن عليّ بحفظه على التمام ، ولي من العمر ثمانية أعوام .."

ولها مؤلفات منها الفتح المبين في مدح الأمين ..

ومريم بنت أحمد بن محمد الأذري ولدت سنة ٧١٩ شيخة للحافظ ابن حجر ، كما ذكر أنه قرأ عليها الكثير من مسموعاتها ، وأشياء كثيرة بالإجازة. قال عنها - أي ابن حجر - : نعم الشيخة كانت ، ديانة وصيانة ، ومحبة في العلم.

يا طالب العلم " التزم التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب كحب الظهور، والتفوق على الأقران، وجعله سلمًا لأغراض وأعراض من جاه أو مال، أو تعظيم، أو سمعة، أو طلب محمدة، أو صرف وجوه الناس إليك فإن هذه وأمثالها إذا شابت النية أفسدتها وذهبت بركة العلم. فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتحذوا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار".

يؤثر عن عمر بن ذر أنه قال لوالده: يا أبتى مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال يا بني: " ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة".

ورحم الله ابن القيم يوم قال: "كلام المتقدمين قليل وكثير البركة، وكلام المتأخرين كثير قليل البركة".

نقل القرطبي أن الربيع بن أنس قال: "من لم يخش الله تعالى فليس بعالم".

ونقل ابن كثير عن ابن مسعود أنه قال: "ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية".

وقال ابن سعدي: "فكل من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية، وأوجب له خشية الله الانكفاف عن المعاصي والاستعداد للقاء من يخشاه وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته كما قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾".

ولو أن أهل العلم صانوه لصانهم ولو أنهم عظموه في النفوس لعظما

قال ابن السعدي: "وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه، أمور إلهية، خارجة عن قدرة اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان لكفار المنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق ولو كانوا من المسلمين، فلا بد لطالب العلم من مجاهدة النفس والصبر والمصابرة".

أخلقُ بذِي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

وورد عن الخطيب البغدادي أنه قال: "أجود أوقات الحفظ الأسحار، ثم نصف النهار، ثم الغداة، وحفظ الليل أفضل من حفظ النهار ووقت الجوع أفضل من وقت الشبع".

وقال اسماعيل بن أويس: "إذا هممت أن تحفظ شيئاً فقم ثم قم عند السحر فأسرح وانظر فيه فإنك لا تنساه بعد إن شاء الله".

وكان الشافعي يقسم الليل ثلاثة أجزاء: ثلث للعلم، وثلث للعبادة، وثلث للنوم.

وقال ابن سعدي رحمه الله تعالى: "بعين البدأة بالأهم بالعلوم الشرعية وما يعين عليها من العلوم العربية وتفصيل هذه الجملة كثير معروف يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص..".

قال الشافعي رحمه الله: "من أحب أن يفتح الله قلبه، ويرزقه العلم، فعليه بالخلوة، وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء وبغض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب".

قال ابن الجوزي: "فصل أهل الفراغ بلاء" قال: "أعوذ بالله من صحبة البطالين، لقد رأيت خلقاً كثيراً يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطلبون الجلوس، ويجرون فيه أحاديث الناس وما لا يعني وما يتخلله غيبة - وهذا يفعله في زماننا كثير من الناس - إلى أن قال: فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء والواجب انتهاؤه بفعل الخير كرهت ذلك وبقيت منهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المؤلف وإن قبلته منهم ضاع الزمان.. فصرت - اسمع العلاج - : فصرت مدافع لقائهم جهدي فإذا غلب قصر في الكلام لأتجمل الفراق ثم أعددت أعمالاً تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغاً فجعلت من المستعد للقاءهم قطع الكاد وبري الأقلام وحزم الدفاتر فإن هذه الأشياء لا بد منها ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف أوقات العمر، وأن يوفقنا لاغتنامه...".

أحمد بن حنبل يقول: ((لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً)).

وجاء رجل إلى أحمد بن حنبل، فقال له: "نكتب عن محمد بن منصور الطوسي؟ قال: إذا لم تكتب عن محمد بن منصور فعمن يكون ذلك؟ كررها مراراً رحمه الله تعالى؟؟ فقال أي الرجل: إنه يتكلم فيك. فقال أحمد: رجل صالح ابتلي فينا فما نعمل؟"

وذكر ابن القيم أسباب انشراح الصدر وقال: "ومنها: العلم فإنه يشرح الصدر ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحسر والحبس، فكلما اتسع علم

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

العبد انشرح صدره واتسع وليس هذا لكل علم بل للعلم الموروث عن النبي ﷺ وهو العلم النافع فأهله أشرح الناس صدرًا وأوسعهم قلوبًا وأحسنهم أخلاقًا وأطيبهم عيشًا .

قال ابن الجوزي في صيد الخاطر: "الله الله في العمل بالعلم فإنه الأصل الأكبر، والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به ففاته لذات الدنيا وخيرات الآخرة فقدم مفلسًا مع قوة الحجة عليه".

ونقل ابن عبد البر في الجامع قول ابي بن كعب: "تعلموا العلم واعملوا به ولا تتعلموه لتتجملوا به فإنه يوشك إن طال بكم زمان أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه".

يروى عن علي بن أبي طالب ؑ أنه قال: "العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل".

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا فاتهمه فإن الرب تعالى شكور، يعني أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرّة عين فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول".

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "وكان السلف يستعينون بالعمل بالعلم على العلم، فإن عمل به استقر ودام ونما وكثرت بركته، وإن ترك العمل به ذهب أو عدمت بركته، فروح العلم وحياته وقوامه إنما هو بالقيام به عملاً وخلقاً وتعليمًا ونصحًا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "فمن شح بعلمه مات علمه بموته وربما نسيه وهو حي كما أن من بث علمه كان حياة ثانية وحفظًا لما علمه وجزاه الله من جنس عمله".

قيل لمالك " ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسن جميل، ولكن انظر الذي يلزمك. من حين تصبح إلى أن تمسي فالزمه".

قال ابن الجوزي: "فالصواب العكوف على العلم مع تلذيع النفس بأسباب رجل التعليم المرقات تلذيعاً لا يقدر في كمال التشاغل بالعلم".

رحم الله سفيان الثوري يوم قال: "إنما يطلب الحديث ليتقى به الله".

قال ابن الجوزي في صيد الخاطر كلاماً نفيساً جميلاً: "إن للخلوّة تأثيرات تبين في الخلوّة، كمن مؤمن بالله عز وجل يحترمه عند الخلوّات فيترك ما يشتهي حذراً من عقابه أو رجاء

لثوابه أو إجلالاً له فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عوداً هندياً على مجمر فيفوح طيبه فيستنشقه الخلائق فلا يدرون أين هو ، وعلى قدر المجاهدة في ترك ما يهوى تقوى محبته أو على قدر مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب ويتفاوت تفاوت العود فتري عيون الخلق تعظم هذا الشخص وألسنتهم تمدحه ولا يعرفون لم ؟ ولا يقدرّون على وصفه لبعدهم عن حقيقة معرفته وقد تمتد هذه الأرايح بعد الموت على قدرها فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة ثم ينسى ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره وقبره ، ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبداً ، وعلى عكس هذا من هاب الخلق ولم يحترم خلوته بالحق فإنه على قدر مبارزته بالذنوب وعلى مقادير تلك الذنوب يفوح منه ريح الكراهة فتمقتة القلوب فإن قل مقدرًا ماجنى قل ذكر الألسن له بالخير وبقي مجرد تعظيمه وإن كثر كان قصار الأمر سكوتاً نافعاً لا يمدحونه ولا يذمونهم ورب خال بذنب كان سبب وقوعه في هوة شقوة في عيش الدنيا والآخرة وكأنه قيل له : ابق بما أثرت فيبقى أبداً

في التخبيط ، فانظروا إخواني إلى المعاصي أثرت وعثرت قال أبو الدرداء رضي الله عنه : إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر ، فتلمحوا ما سطرته واعرفوا ذكرته ولا تهملوا خلواتكم ولا سرائركم فإن الأعمال بالنية والجزاء على مقدار الإخلاص ."

قال ابن القيم في مدارج السالكين : "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه - يقول : " بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ثم تلا قوله تعالى : ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا يوقنون﴾ ."

قال ابن القيم في مدارج السالكين : "والقلب يتوارده جيشان من الباطل جيش شهوات الغي وجيش شبهات الباطل فأبما قلب صغا إليها وركن إليها شربها وامتلاً بها فينضح لسانه وجوارحه بموجبها فإن أشرب شبهات الباطل تفجرت على لسانه الشكوك والشبهات والإيرادات فيظن الجاهل أن ذلك لسعة علمه وإنما ذلك من عدم علمه ويقينه وقال لي شيخ الإسلام رضي الله عنه وقد جعلت أورد عليه إيراداً بعد إيراد لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقراً للشبهات أو كما قال - قال ابن القيم : فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك وسميت الشبهنة شبهة لا شتبهه الحق بالباطل فيها فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس فيعتقد صحتها وأما صاحب العلم واليقين فإنه لا يغتر بذلك بل يجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها فينكشف له حقيقتها إلى أن قال .. وكم قد قتل هذا الإغترار من خلق لا يحصيهم إلا الله" .

أخي طالب العلم : قف وتأمل قبل أن يقال فلان مات : وقفت يوماً من الأيام مع آية من كتاب الله فخفق قلبي واقشعر بدني وأنا أتأمل معناها يقول الحق تعالى : ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين

أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿ - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا -
 فيا طالب العلم اسأل نفسك بصدق ، هل أنت راض عن نفسك ، وهل ما تقدمه هو لله
 حقيقة أم للنفس وحضوضها نصيب ، هل غيرتك لله ، أم أن للحسد والغيرة نصيب ، إنك
 سعيد في الدارين إن كان قولك وفعلك وحبك وبغضك خالصاً لله ، إنك سعيد كل
 السعادة في سراء كنت أو ضراء أصابتك منحة أو محنة أياً كان حالك فأنت سعيد ما
 دمت تطلب العلم لله بحق وتعمل لله بصدق وتحب في الله وتبغض في الله إنني أعيذك
 ونفسي أيها الحبيب أن نكون ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم
 يحسنون صنعا . (إبراهيم الدويش).

قال رجل لأبي عبد الرحمن سهيل بن نعيم : يا أبا عبد الرحمن توصي بشيء . قال نعم :
 "احذر أن يأخذك الله وأنت على غفله" .

قال ابن الجوزي كلام نفيس في صيد الخاطر فصل محك الحوادث : سبحان المتصرف في
 خلقه بالاعتراب والإذلال ليبلو صبرهم ويظهر جواهرهم في الابتلاء . هذا آدم ﷺ تسجد له
 الملائكة ثم بعد قليل يخرج من الجنة ، وهذا نوح عليه السلام يضرب حتى يغشى عليه ثم
 بعد قليل ينجو في السفينة ويهلك أعداءه ، وهذا الخليل عليه السلام يلقي في النار ثم بعد
 قليل يخرج إلى السلامة ، وهذا الذبيح يضطجع مستسلماً ثم يسلم ويبقى المدح ، وهذا
 يعقوب عليه السلام يذهب بصره بالفراق ثم يعود بالوصول ، وهذا الكليم عليه السلام
 يشغل بالرعي ثم يرقى إلى التكليم ، وهذا نبينا محمد ﷺ يقال له بالأمس اليتيم ويقلب
 في عجائب يلاقيها من الأعداء تارة ومن مكائد الفقر أخرى وهو أثبت من جبل حراء ثم لما تم
 مراده من الفتح وبلغ الغرض من أكبر الملوك وأهل الأرض نزل به ضيف النقلة وقال واكرياه .
 فمن تلمح بحر الدنيا وعلم كيف تتلقى الأمواج وكيف يصبر على مدافعة الأيام لم
 يستهول نزول بلاء ولم يفرح بعاجل رخاء .

قال وكيع : "لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه" .

قال الفضيل بن عياض : "ما من أحد طلب الرئاسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس ،
 وكره أن يذكر أحد بخير" .

قال سعيد بن جبير : "لا يزال الرجل عالماً ما تعلم فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى
 واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون" .

ومن العجائب عجب من هو جاهل في حاله أهو السعيد أم الشقي

قال إبراهيم بن الأشعث : "سألت الفضيل بن عياض عن التواضع فقال : أن تخضع للحق
 وتنقاد له من سمعته ولو كان أجهل الناس ، لزمك أن تقبله منه" .

قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم : "وقد يبغى بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله لعلم نافع أو عمل صالح ، وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم".

يقول الأوزاعي : "إذا أراد الله بقوم شرّاً فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل"

عين الحسود عليك الدهر حارسة	تبدي المساويء والإحسان تحفيه
يلقاك بالبشر يبيده مكاشرة	والقلب مضطغم فيه الذي فيه
إن الحسود بلا جرم عداوته	فليس يقبل عذراً فيه تجنيه

(دعة تائب)

القلب محترق والدمع مستبق	والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له	بما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن كان شيء فيه لي فرج	فامنن عليّ به مادام بي رمق

أتبكي وفي عينيك تزدحم الروى	وفي قلبك الشادي من الحب جدول؟
أتبكي وفي أعماقك النبع لم يزل	سخياً وعهدي أن قلبك ينهل؟
بربك لا تكسر على صخرة الأسي	صمودك! إن اليأس يدمي ويقتل

إذا لم يرد المرء عن فعل منكر	حياءً ولم يردعه عنه يقين
فقد ضاع حتى لو بدا منه مظهر	جميل ولو تاقت إليه عيون
يرد يدي عن بطشها خوف ربها	ويمنع نفسي أن تخادع دين
وما العز إلا في التورع والتقى	وإن قل مألأ وجفأك معين

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله - : " إن التوبة إلى الله كما أوضحها القرآن الكريم ليست في حق المذنبين فقط، وإنما هي في حق المؤمنين أيضاً، وتكون التوبة في حق أهل الإيمان من تقصير في الواجبات وضعف في أداء الطاعات "

ويقول ابن القيم : " قال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ قسم العباد إلى تائب وظالم ، وما تمّ قسم ثالث البتة . وأوقع اسم " الظالم " على من لم يتب . ولا أظلم منه . جهله بربه وحقه ، وبعبعب نفسه وآفات أعماله .. "

ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم " الداء والدواء " أضراراً كثيرة للاستمرار على الذنوب، منها: حرمان العلم - زهاب الحياء - ضيق الصدر - حرمان الطاعة - سوء الخاتمة -

الطبع على القلب - قلة التوفيق - الوحشة في القلب - نزول النقم - هوان المذنب - محق
البركة - عذاب الآخرة "

من ألوذ وبمن أشكو له حالي سواك يارب في حلي وترحالي
تقضي بأمرك ياربي وأقبله فأنت أعلم يارحمن بالحال
أوغلت في درب أحلامي وكم تعبت رجلي وكم شكيت الأحلام إغالي

باحثٌ بسريٍّ في الهوى أدْمعي ودلت الواشي على موضعي

يا قوم إن كنتم على مذهبي في الوجد والحزن فأنوحوا معي

يحق لي أبكي على زلتي فلا تلوموني على أدْمعي

دمعي أمام جدار الليل ينسكب وجمرة في حنايا القلب تلتهب
وليلة جُمها يشكو تطاولها وبدرها ذابل العينين مكتئب
وصورة لضياح العمر قائمة تسعى إلي ومن عيني تقترب
ووحشة في فؤادي أستريح لها كأنني بين أهل الدار مغترب
ما عدت كالأمس إشراقاً ولا أملاً وكيف يشرق من في قلبه لهب؟

- هل نتذكر ذنوبنا السابقة، أم أن الأفضل نسيانها، وفتح صفحة جديدة ؟
وهذا سؤال في غاية الأهمية وله أثر كبير في استمرار التوبة وجأحها، لأن ذكر الذنب على نوعين .. ذكر للذنب محمود، وذكر مذموم، أما الحمود فهو تذكّر الذنب الذي يدفع النفس لعمل الخير والإكثار منه، ومحاولة التعويض لترجح الحسنات بالسيئات، فما يزال العبد يذكر ذلك الذنب وكلما ذكره أصابه من الندم والهَم ما حركه لفعل الخيرات، وزاد من عزمه وهمه، وهذا معنى قول ابن مسعود كما في البخاري: "إن المؤمن ليرى ذنوبه كجبل يوشك أن يقع عليه..". فتذكر ذنبك كلما غفلت أو ضعفت، ليحصل لك انكسار وخوف وخشوع لله وهذا هو طريق العبودية، ولهذا قيل: كلما نُهتَ عن الطريق تذكر ذنبك تجد الطريق. وأما المذموم فهو أن يظل العبد يذكر ذنبه فلا يزيده إلا هماً وخوفاً وكثرة أفكار ووساوس وهو لم يتقدم ولم يعمل خيراً لمحوه، بل يظل هاجساً مقلقاً لصاحبه حتى ربما أصابه مرض نفسي فأصبح منطوياً مكتئباً، وبعض الناس لا يزال يذكر الذنب ويتخيله ويتلذذ بذكره حتى يشتاق لمواقفته والرجوع إليه، وفي مثل هذه الحالات خير للعبد أن ينسى ذنبه، وينصرف عن تذكره بشغل وقته وفكره.

قيل للحسن: "ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود، ثم يستغفر ثم يعود فقال: ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلا تملوا من الاستغفار".

يقول ابن القيم رحمه الله في علامات التوبة الصحيحة: "ومنها: أن يكون بعد التوبة خيراً مما كان قبلها ، وأن لا يزال الخوف مصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين ، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه: ﴿أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

والليل من حولي هدوء قاتل
وهدني ألمي فأنشد راحتي
والنفس بين جواحي شفاقة
قد عشت أومن ولم أذق
والذكريات تمور في وجداني
في بضع آيات من القرآن
دب الخشوع بها فهز كياني
إلا أخيراً لذة الإيمان

ورب فتى يسعى إلى كل زلة
ترأى له العيش الجميل فغره
أقول له: أسرفت في فعل منكراً
بذلت له نصحي وقلت: له اعتمد
ويجوب إلى الخيرات وهو حزين
وقد خدع الدنيا فتى فيهون
وجاوزت حد الله يا مسكين
على خالق يعطى الفتى ويصون

أتوب إليك إلهي متاباً
ومهما تجاوزت حدي فإني
إلهي وأنت قريب مجيب
وأناجيك أطلب منك الثواب
ومهما ابتعدت أزيد اقتراباً
أوجه حوك قلباً مذاباً

قال ابن القيم: "رُميت صخرة الهوى على ينبوع الفطنة ، فاحتبس الماء ، فإن لم تطق رفعها فأنقب حولها ، لعل ينابيع الماء تتفجر".

كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ، ثم لا يضرك متى مت

يا من ألوذ به فيما أومله
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره
ومن أعوذ به مما أحاذره
ولا يهيضون عظماً أنت جابره

(الكنز الفقد)

شعوبك في شرق البلاد وغربها
بأيانهم نوران ذكر وسنة
كأصحاب كهف في عميق سبات
فما بالهم في حالك الظلمات

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

ألم تسمع لرجل الإيمان أحمد بن حنبل وهو يقول: "ما يفعل أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري، مهما رحلت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة".

" إنه لتمر في القلب لحظات ، أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي نعيم مقيم ."

قال ابن سعدي بعد ذكره لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ فَضَّلًا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. ومن أكبر المنن: أن يحب الله الإيمان للعبد، ويزينه في قلبه، ويذيقه حلاوته، وتنقاد جوارحه للعمل بشرائع الإسلام؛ ويبغض إليه أصناف المحرمات..

يقول ابن القيم رحمه الله: ..فليس الفساق والفجرة والظلمة في لذة في هذه الدار، وإنما هم يُعذبون فيها، وفي البرزخ، وفي القيامة، ولكن سكرة الشهوة وموت القلب حال بينهم وبين الشعور بالألم، فإذا حيل بينهم وبين ما يشتهون أحضرت نفوسهم الألم الشديد..

تفنى اللذذة من ذاق صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوءٍ في مغبتها لا خيرٍ في لذةٍ من بعدها النار

إخوة الإيمان: أخشى أن أخرج من الدنيا وما عرفنا حقيقة الإيمان، ولا ذقنا طعم الاستقامة والالتزام، وأخشى والله أن يكون حظنا من صلاحنا ثناء الناس وحسن ظنهم فقط، والله وحده أعلم بالسرائر وما تكنه القلوب "فليس الإيمان بالتمني والتحلي، ولكنه ما وقر في القلوب، وصدقته الأعمال". (إبراهيم الدويش)

روحٌ دعاها للوصال حبيبها فسعت إليه تُطيعه وتجيبه
يا مدعي صدق المحبة هكذا فعل الحبيب إذا دعاه حبيبهُ

واسمع لسعيد بن العاص يقول: "إني لأكره أن يمر الذباب بجليسي مخافة أن يؤذيه"

ويروى أن يونس بن عبيد أصيب بمصيبة، فقيل له: ابن عوف لم يأتك؟ فقال: "إنا إذا وثقنا بمودة أخينا، لم يضره أن لا يأتينا".

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

والنوم تحت رواق الهم والقلق
 إنني التمسيت الغنى من كف مخلوق
 ليس الغنى كثرة الأموال والورق
 فلسيت أسلك إلا أوضح الطرق
 قَطْعُ الليالي مع الأيام في خَلْقِ
 أَحْرَى وَأَعْدَرُ لي من أن يُقال غداً
 قالوا: رضيت؟ قلت: المُنوعُ غنيٌّ
 رضيت بالله في عسري وفي يسري

قال زيد بن أسلم : "دخل على أبي دجاجة وهو مريض وكان وجهه يتهلل فقيل : له . ما لوجهك يتهلل ؟ فقال : ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين : كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني . والأخرى : كان قلبي للمسلمين سليماً ."

قال عبد الرحمن بن عمر الأصفهاني : "كنا في مجلس عبد الرحمن بن مهدي إذ دخل عليه شاب فما زال يذنيه حتى أجلسه إلى جنبه قال : فقام شيخ من المجلس فقال يا أبا سعيد إن هذا الشاب يتكلم فيك حتى انه ليكذبك . قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال تعالى : ﴿اذْفَعْ بِاللَّيِّ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ."

شبه سفيان بن عيينة القوم الذين يتصيدون العثرات ويكتمون الخيرات تشبيهاً غريباً ، قال فيه : "ومنهم من يشبه الخنازير التي لو ألقى لها الطعام الطيب عافته فإذا قام الرجل عن رجليه ولغت فيه فكذلك تجد من الأدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها فإذا أخطأ الرجل عن نفسه أو حكى غيره تراواه وحفظه" .

اسمع لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : " . . فلا أحب أن يتصر من أحد بسبب كذبه علي ، أو ظلمه وعدوانه ؛ فإنني قد أحللت كل مسلم ، وأنا أحب الخير لكل المسلمين ، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسه ، والذين كذبوا وظلموا منهم في حل من جهتي " .

وقال البخاري : " ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام ، إنني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أنني اغتبت أحدا " .

أبو سليمان الداراني يقول : " لأهل الطاعة في ليلهم أذ من أهل اللهو بلهوهم " .

قال الهيثم بن جمار عن زوجته قال : " كان لي امرأة تقوم الليل وكنت لا أصبر معها على السهر فكنت إذا نعست ترش علي الماء في أنقل ما أكون من النوم وتنبهني وتقول أما تستحي من الله إلى كم هذا الغطيط فوالله إن كنت لأستحي مما تصنع " .

عباد أعرضوا عنا بلا جُرم ولا معنى

أساءوا ظنهم فينا فهلا أحسنوا الظنا

فإن خانوا فما خنا وإن عادوا فقد عدنا

وإن كانوا قد استغنوا فإننا عنهم أغنا

يقول أبي إسحاق السبيعي يقول: "ذهبت الصلاة مني، وضعفت ورق عظمي، وإني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا بالبقرة وآل عمران".

قال طلق بن حبيب: "إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى . قالوا: وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك المعصية على نور من الله، تخاف عقاب الله".

(عشرون وسيلة لنصرة الأقصى)

وفي القدس بيتٌ للأسى عند بابهِ تلاقت يتامى أمّتي والأراملُ
عباءتها بيعت على حين غرّة وأثوابها في السُّوق والجسم ناحلُ

إذن فلا جأه للأمة الإسلامية إلا بالأخذ بأسباب النصر الحقيقية، والتي من أهمها: سلامة المنهج والسير وفق منهج الحبيب ﷺ وأصحابه وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين. (إبراهيم الدويش)

فقد أوضحت الانتفاضة كما أوضحت أحداث الشيشان أن الجهاد هو السبيل الأقوم والطريق الأمثل لأخذ الحق والاعتراف به، وأيقن المسلمون أن راية الدين إذا ارتفعت تصاعرت أمامها كل راية. (ابن حميد)

قال بعض الثَّبابِ الغافلين: أنتم افتحوا لنا الطريق وسترون! قلت: كيف وأنتم بهذه الحالة من الغفلة والبعد عن طاعة الله؟!

وهنا تكمن المشكلة: أن نفهم هل الجهاد قوّة وشجاعة فقط؟! فمن ظنّ هذا فقد أخطأ!! فالجهاد قوّة إيمانيّة وروحيّة قبل أن يكون مجرد قوّة عتاد وشجاعة نفوس، والتاريخ يشهد بهذا. (إبراهيم الدويش)

أتسخرُ بالدُّعاءِ وتزدرية وما تدري بما صنع الدُّعاءُ
سهامُ اللَّيلِ لا تُخطي ولكن لها أمدٌ وللأمدِ انقضاءُ

فما أجملَ الدعاءِ إذا كان من قلبٍ قويٍّ موقنٍ بالإجابة، وما أجملَ الدعاءِ إذا امتزج بالسعي والعمل والخضوع والانكسار، وما أجملَ انتهازَ فُرصِ أوقاتِ الإجابةِ كوقتِ السَّحرِ حين نزولِ ملكِ الملوكِ وناصرِ المستضعفين، ووقتِ السجود، والخلوات، وكيف إذا صاحبَ هذا أيضاً انكسارٌ وخشوعٌ وبكاءٌ، وتوجَّهتِ الأحاسيسُ كُلُّها إلى بارئها تعالى؟! هنا يكونُ للدُّعاءِ أثرٌ، وهنا يكونُ الدعاءُ وسيلةً فاعلةً بل أعظمَ وأهمَّ وسيلةً للنصرةِ الحقيقيَّةِ للمسلمين. (إبراهيم الدويش)

وسلاحنا النوويُّ تقوى ربِّنا فيها سنجعلهم هشيمَ المحتضِرِ
ولنا سهامُ اللَّيلِ تفعلُ فعلها والأمرُ للمولى كلمحِ البصْرِ
جنباءُ يستخفون رُغمَ رصاصهم يخشون طفلاً راح يقذفُ بالحجرِ

أشكو إلى الله ماذا حلَّ أمّتنا من التخادُلِ والإحباطِ والخوَرِ
ماذا دهاها وقد كانت إذا اقتحمت أسوارها انتفضت بالنارِ والشَّرِّ
أعطوا البراعمَ أشبالَ الضِّراغمِ ما يناسبُ الأسدَ من قوسٍ ومن وكرِ
وقد رأينا أكفَّ الصيِّدِ ما حصبت يحكي القنابلَ رشقاً وهو من حجرِ
أما رأينا عجيباً من بسالتهم مستقبلي الموتِ ما خافوا من الخطرِ
لا ريبَ يولدُ نصرٌ بعد محنتهم بعد الدُّجى تبزُعُ الآمالُ في السَّحرِ
لا ريبَ ينصرهم دينٌ له انتصروا إذا خالفوا المسجدَ الأقصى مدى العُمُرِ
يا مسلمون انصروا الأقصى ولا تهنوا وطهروا القبلةَ الأولى من القَدْرِ

استمع إلى هذا الحوار الجميل:

" قال الفتي محدثاً صاحبه : ليتني مثل صلاح الدين الأيوبي ، شجاعة ، قوة ، وحنكة ، وبصيرة ، والأهم من هذا كله أنه حرر المسجد الأقصى ، وهذه وحدها تكفي . ثم إن الناس في عصرنا هذا يتمنون لو تلد نساؤهم رجالاً مثله ! .

فقال له صاحبه : وهل تظن يا أخي أن صلاح الدين قد حرر الأقصى في نزهة مترفة على فرس أصيل؟! لا يا أخي لم يحدث هذا ، ولا يعقل أن يحدث شيء كهذا ، إن الأمور الجليلة لا تتم لمجرد أن تمنيناها ، إن وراء كل حدث عظيم أو شخص عظيم ، بذلا وتضحيةً وجهودا كبيرةً . لا تنس أن صلاح الدين قد أعد نفسه جيدا ، كما أن جنده قد أعدوا إعداداً مناسباً ، ولم يستسلم هذا القائد لأي عائق ، عرض له ، بل سعى لهدفه حتى النهاية " .

خجلت لفرط علوه الأجرام	فرفعت رأسي إذ بشبل شامخ
أنا مسلم وشعاري الإسلام	فسألته من أنت؟! قال بعزة:
أنا شبل حمزة ذلك الضرعام	أنا شبل سعد - يا نجوم - وخالد
لفح الهجير فإتهم صوام	الساجدون بليهم: أما إذا
فكأنما كانت لنا أحلام!	ثم انقضت تلك المفاخر كلها

فالله ينصركم ولا لا تجزعوا	صبراً جميلاً يا فلسطين الإيا
لا تيأسوا فالنصر آت يسطع	هبوا جميعاً والإله نصيركم
أن الطهارة سوف تأتي تسرع	يا قدسنا بشارك في يوم الأسى
ونعيش في خير وعز يمتع	وتزول أرجاس تدنس أرضنا

(الأنقياء)

- فالأنقياء لا يعرفون الانتقام ولا التشفي، ويتجاوزون عن الهفوات والأخطاء .
- الأنقياء يتنبئون ولا يتسرعون .
- الأنقياء سليمة قلوبهم قيّة صدورهم .
- الأنقياء يحبون العفو والصفح وإن كان الحق معهم.
- الأنقياء ألسنتهم نظيفة فلا يسبون ولا يشتمون .
- الأنقياء.. صفاء في السريرة ونقاء في السيرة، دعاؤهم : اللهم قنا شح أنفسنا، اللهم قنا شح أنفسنا، ﴿وَمَنْ يُوَقِّ شَحَّ نَفْسِهِ فَأَوْلئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

سلامة الصدر، طهارة القلب، صفاء النفس.. كلمات نادرة الاستعمال وعزيزة الذكر، لا نكاد نسمعها في مجالسنا ومنتدياتنا، موضوعات كثيرة تلك التي نتحدث عنها، لكنّها لا تخلو من غيبة ملبسة بلباس النصيحة، أو من حديث يشفي الغليل ويرضي الخليل، أو من همز ولمز وانتصار للنفس !
فيا من في قلبك خوف من الله عز وجل، إننا نريد أن نسمع كلمات الحب والإخاء والصدق والوفاء والنصح والصفاء ، نريد أن نسمع كلمات الشكر والعرفان وذكر الفضل والإحسان،

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

نريد أن نسمع عن جمع القلوب وعن توحيد الكلمة وعن الإصلاح بين الناس، وكل ذلك -
ويا للأسف- في مجالسنا عزيزاً! (إبراهيم الدويش).

اعلم أن سلامة الصدر وتنقية القلب مطلبٌ عزيزٌ، والحرص عليه واجبٌ. وبذل الأسباب إليه وسلوك طريقه متعينٌ. ولكن لا تنس أن الناس بشرٌ وأن النفس ضعيفةٌ، فلا بد من الخطأ ولا بد للنفس أن تتأثر، فتنبه لهذا وعامل الآخرين بحسبه.
ولهذا يقول سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: "إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرِيفٍ وَلَا عَالِمٍ وَلَا ذِي فَضْلٍ إِلَّا وَفِيهِ عَيْوَبٌ، وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُذَكَرَ عَيْوَبُهُ، وَمَنْ كَانَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ نَقْصِهِ وَهَبَ نَقْصَهُ لِفَضْلِهِ".

سَامِحٌ أَخَاكَ إِذَا خَلَطَ	مِنْهُ الْإِصَابَةُ وَالْغَلَطُ
وَجَافٍ عَنِ تَعْنِيفِهِ	إِنْ حَافٍ يَوْمًا أَوْ قَسِطٌ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ طَلَبْتَ	تَ مَهْدَبًا رُمْتَ الشُّطَطُ
مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ	وَمَنْ لَهُ الْحَسَنَى فَقَطُّ

يقول عمر بن الخطاب ؓ ((لست بالخب ولا الخب يحدعني))، لا ينافي سلامة القلب والأخذ بالظاهر، ولكنه يعني الحيطة والحذر. فعليك أن تكون فطناً متنبهاً، فالله سبحانه وتعالى يقول للمؤمنين ﴿حُدُوا حُدْرَكُمْ﴾ ويقول سبحانه وتعالى ﴿وَلَا يَسْتَخْفِكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

إن قلب المؤمن مطمئن بذكر الله، النابض بجلاوة الإيمان؛ لا يَحْتَمِلُ أبدأً أن يحمل بين جنباته حقداً على أحدٍ من المسلمين، إن من كان في قلبه إيمانٌ صادقٌ لا يَحْتَمِلُ أبدأً أن يحمل حقداً على أحدٍ من إخوانه. (إبراهيم الدويش)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "والجود عشر مراتب، ثم ذكرها، فقال: والسابعة: الجود بالعرض كجود أبي ضمضم من الصحابة رضي الله عنهم كان إذا أصبح قال: اللهم لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي، فمن شتمني، أو قذفتني، فهو في حل. فقال النبي ﷺ: ((من يستطيع أن يكون منكم كأبي ضمضم)) وفي هذا الجود من سلامة الصدر وراحة القلب من معاداة الخلق ما فيه".

قال رجلٌ لعمر بن العاص رضي الله عنه: والله لأتفرغن لك! يعني بالكيد والتشفي والانتقام وغير ذلك، فماذا كان ردُّ عمرو؟! فقال عمرو بن العاص بذكائه وعقله: إذن تقع في الشغل.. إذن تقع في الشغل..!

ولا شك أن قول عمرو هو الصواب ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٩٦]، كم حُبُّ أن نسمع مثل هذه الكلمات، "إذن تقع في الشغل"، لأن القلب الذي امتلأ بالحسد والانتقام من الناس وتتبع زلاتهم والتشفي منهم قلبٌ مشغولٌ دائماً، أما القلب السليم الذي امتلأ

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

بسلامة الصدر وحبّ النَّاسِ وجمع القلوب فهو لا يفكّر إلا فيما ينفعه: كطلب علمٍ أو عملٍ خيرٍ وخواهما، أمّا أعراض النَّاسِ فهو بريءٌ منها لأنّه يخافُ الله . (إبراهيم الدويش)

ذكر الذهبيُّ في السِّيرِ في ترجمة البخاريِّ مُحَمَّد بن إسماعيل، صاحب الصَّحيح ﷺ قال - أي الذهبي-: "وكان كثيرٌ من أصحابه يقولون له -أي البخاري-: إنَّ بعض النَّاسِ يقعُ فيك!" -ولو قيلت هذه الكلمة لأحدنا ماذا سيقولُ؟ رُبَّما يبادرُ ويقولُ مباشرةً ماذا يقولون؟! ومتى؟! ومن هم؟! أمّا الإمامُ البخاريُّ رحمه الله تعالى لما قيلت له هذه الكلمة "إنَّ بعض النَّاسِ يقعُ فيك"، قال: «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا»، ويتلو أيضاً قوله تعالى: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ».

وإذا تشاجرَ في فؤادِكَ مرَّةً *** أمرانِ فاعمدَ للأعفِّ الأجمَلِ
وإذا هممتَ بأمرٍ سوءٍ فأتدِّد *** وإذا هممتَ بأمرٍ خيرٍ فافعلْ

رحمَ الله ابنَ المبارك يومَ أن جاءه ذلك الرَّجُلُ فذكرَ له قولاً في إخوانه، فقال له ابنُ المبارك: "عجباً! سلّمَ منك اليهودُ والنَّصارى، ولم يسلمَ منك إخوانك!"

ما أجملَ قولَ مُحَمَّد بن سيرين - رحمه الله تعالى - : إذا بلغك عن أخيك شيءٌ، فالتمس له عُذراً، فإن لم تجد له فقل: لعلَّ له عُذراً لا أعلمه !

إذا أدمت قوارصكم فؤادي صبرتُ على أذاكم وانطويتُ
وجئتُ إليكم طلقاً المحيياً كأني ما سمعتُ ولا رأيتُ

وإنَّ الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمِّي لمختلفٌ جداً
فإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجداً
وإن ضيَّعوا غيبي حفظتُ غيوبهم وإن هم هووا غيبي هويتُ لهم رُشداً
ولا أحملُ الحقدَ القديمَ عليهم وليس كريمُ القومِ من يحملُ الحقداً

(بشارت ومبشرات)

أبشّر فإن الفجر لاح هاخن جننا يا صلاح
قد أدبر الليل العميل وجاء للدنيا صباح
مادام عرقي نابض لن تعرف النفس ارتياح
حتى أرى شعبي وليس له عن الأقصى براح

الصراع القائم الآن بين الحق والباطل، وصولات الباطل وانتفاش أهله الآن دليل على قوة الحق وقدمه وتململه . فقبل سنوات قليلة لم يكن للمسلمين صوت لا في البوسنة ولا في طاجكستان ولا في الفلبين ولا في الشيشان ولا في غيرها من بلاد المسلمين. أما الآن فإننا نسمع تلك الأمور وتلك الصولات والجولات للمسلمين في كل مكان وفي كل صقع من أنحاء المعمورة . هذه الأمور إننا نعتبرها - أيها الأحبة - ينابيع للإسلام تتفجر عن قدمه وبقوة . فماذا قدمنا؟! وما هو دورنا؟! فالإسلام ماضٍ في طريقه للعزة والتمكين سواء بنا أو بغيرنا. فيا أيها المسلم ويا أيتها المسلمة: سجل لنفسك موقفاً يشهد لك عند الله - عز وجل - شارك في نصرة هذا الدين ولو بكلمات صادقة ناصحة من قلب يحترق ويتألم . شارك لنصرة هذا الدين ولو بشرائط أو كتاب يفتح الله به قلوباً عمياً أو آذاناً صماً . شارك في نصرة هذا الدين ولو بريالات قليلة تعين بها ملهوفاً وتنصر بها مظلوماً . المهم أن تعمل، أن تشعر أنك تقدم. فكر واجتهد وقلب الأمور تجد أن بيدك الخير الكثير الكثير. فلا يقل قائل: ماذا أقدم؟ ماذا أعمل؟ فإننا تعدينا مرحلة هذا السؤال والوقوف عند هذا السؤال بكثير . (إبراهيم الدويش)

قال صاحب الظلال - رحمه الله - : "و حين نرانا ضعفنا مرة، أو زلزلنا مرة، أو فزعنا مرة، أو ضقنا مرة بالهول والخطر والشدة والضيق.. فعلينا أن لا نياس من أنفسنا، وألا نهلع ونحسب أننا هلكنا؛ أو أننا لم نعد نصلح لشيء عظيم أبداً! ولكن علينا في الوقت ذاته أن لا نقف إلى جوار ضعفنا ؛ لأنه من فطرتنا البشرية! ونصر عليه لأنه يقع لمن هم خير منا! هنالك العروة الوثقى عروة السماء، وعلينا أن نستمسك بها لننهض من الكبوة، ونسترد الثقة والطمأنينة، ونتخذ من الزلزال بشيراً بالنصر، فنثبت ونستقر ونقوى ونطمئن ونسير في الطريق.. وهذا هو التوازن الذي صاغ ذلك النموذج الفريد في صدر الإسلام".

ومن الحكم من غلبة العدو على المسلمين أنهم لو كانوا دائماً منصورين غالبين قاهرين لدخل معهم من ليس قصده الدين، ومتابعة الرسول، فإنه إنما ينضاف إلى من له الغلبة والعزة، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائماً لم يدخل معهم أحد، فاقتضت الحكمة الإلهية أن كانت لهم الدولة تارة، وعليهم تارة، فيتميز بذلك بين من يريد الله ورسوله، ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه - "إذاً - التمييز بين الصادق من غيره من حكم ابتلاء الله المؤمنين، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَدْرَأَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

(طريقنا للقلوب)

قال ابن القيم يرحمه الله "الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين".

"إنَّ المتعمَّنَ في أحوال الناس يجد كثيراً من المسلمين يغفل عن الاهتمام والاحتساب في هذا الجانب، وقد يهمل الصلة الوثيقة بين محاسن الأخلاق وقضية الإيمان والعقيدة، فبينما تجد

الشَّخْصَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ وَمَحَضَ الْإِيمَانَ تَرَاهُ مَنْطُوباً عَلَى رِكَامٍ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ وَالنَّقَائِصِ الَّتِي خَلَّ بِإِيمَانِهِ الْوَاجِبُ أَوْ حَرَمَهُ مِنَ الْكَمَالِ الْمَسْتَحَبِّ، كَالكِبْرِ وَالْحَسَدِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَالكَذِبِ وَالْفَحْشِ وَالْأَثَرَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ جَاهِلاً بِضُرَرِ هَذِهِ الْأُمُورِ عَلَى عَقِيدَتِهِ وَإِيمَانِهِ، أَوْ غَافِلاً عَنِ شَمُولِيَّةِ هَذَا الدِّينِ لِجَمِيعِ مَنَاحِي الْحَيَاةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ .

إِنَّ حَقِيقَ التَّوْحِيدِ وَتَكْمِيلِ الْإِيمَانِ لَيْسَ بِاجْتِنَابِ الشَّرْكَ الْأَكْبَرِ فَحَسْبُ ، بَلْ بِاجْتِنَابِ كُلِّ مَا يُنَافِي الْعَقِيدَةَ وَكُلِّ مَا يَخِلُّ أَوْ يَقْدَحُ فِي كَمَالِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ .. إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ هُنَاكَ .
صاحب رسالة صلة الأخلاق بالعقيدة والإيمان .

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة *** وأصبحت منها بعد عسرٍ أبا يسرٍ
لقد كشف الإثراء عنك خلائقاً *** من اللوم كانت تحت سترٍ من الفقر!

ارض للناس جميعاً *** مثل ما ترضى لنفسك

إنما الناس جميعاً *** كلهم أبناء جنسك

غير عدل أن توخى *** وحشة الناس بأنسك

فلهم نفس كنفسك *** ولهم حس كحسك

كل الأمور تزول عنك وتنقضي *** إلا الثناء فإنه لك باقي

ولو أنني خيَّرتُ كل فضيلةٍ *** ما اخترتُ غير محاسن الأخلاق

ذَكَرَ لِي أَحَدُ الْإِخْوَةِ أَنَّ شَبَاباً مِنَ الْعَرَبِ فِي إِحْدَى الدُّوَلِ الْغَرِيبَةِ اسْتَأْجَرُوا غَرَفاً مِنْ عَجُوزٍ غَرِيبَةٍ، فَلَمَّا انْتَهَتْ مَدَّةُ الْإِجَارِ رَفَضُوا التَّسَدِيدَ، وَهَرَبُوا بِحُجَّةٍ أَنَّهَا كَافِرَةٌ، وَأَنَّهُمْ - أَيْ الْكُفَّارَ - هُمُ الَّذِينَ نَهَبُوا أَمْوَالَنَا كَعَرَبٍ !!

سَبَّحَانَ اللَّهِ! بَأَيِّ مَنْطِقٍ وَأَيِّ عَقْلِيَّةٍ يَتَعَامَلُ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ؟ إِنَّهُ الْهُوَى وَالْجَهْلُ بِتَعَالِيمِ وَأَدَابِ هَذَا الدِّينِ، أَلَمْ يَعْقِدِ الْعُلَمَاءُ أَبْوَاباً فِي كِتَابِ الْعَقِيدَةِ وَالْفَقْهِ فِي مَعَامَلَةِ الْمُسْلِمِ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِ؟ وَمَعَامَلَةِ الْمُحَارِبِ لِلْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِ الْمُحَارِبِ؟

كَيْفَ نَرِيدُ أَنْ نَفْخَرَ بِالْإِسْلَامِ وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ جَهَلَ أَحْكَامَهُ وَخَلَّفَ عَنِ آدَابِهِ؟ قَالَ مَحْدَثِي: وَكُنْتُ أَرْغَبُ الْإِجَارَ مِنْ هَذِهِ الْعَجُوزِ فَرَفَضَتْ، خَاصَّةً عِنْدَمَا عَلِمْتُ أَنَّي مُسْلِمٌ، وَقَالَتْ "أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لِمَ تَصُورُونَ؟"، يَقُولُ: وَسَأَلْتُهَا عَنْ سَبَبِ هَذَا الْاِتِّهَامِ، فَحَدَّثَتْنِي بِقِصَّتِهَا مَعَ هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ، قَالَ: فَحَرَصْتُ عَلَى تَغْيِيرِ هَذِهِ الصُّورَةِ عِنَّا كَمُسْلِمِينَ، وَبَعْدَ مَحَاوَلَاتٍ وَإِعْرَاضَاتٍ وَتَعَهُّدَاتٍ بِالِدَّفْعِ مَقَدِّمًا، وَافَقْتُ عَلَى تَأْجِيرِي وَوَأَفَقْتُ رَغْمَ ارْتِفَاعِ السَّعْرِ، وَسَكَنْتُ وَلَا زَلَّتْ أَقْدَمُ لَهَا الْعَوْنُ وَأَظْهَرَ لَهَا آدَابَ الْإِسْلَامِ، وَأَجَاهَدُ نَفْسِي عَلَى التَّحَلِّيِ بِالْفَضَائِلِ مَعَ تَذْكِيرِهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِأَنَّ هَذَا مِنْ آدَابِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ دِينَنَا يَحْتُنَّا عَلَى هَذِهِ الْأَخْلَاقِ .

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

يقول : فلماً حان رحيلي وعندَ لحظةِ الوداع ، فإذا بها تقول لي ودمعتها على خدها : يا بني وصيتي لك أن لا تموت إلا على هذا الدين!

قال أحد الإخوة : في موسمٍ للأمطار وأنا على سيارتي مررتُ بغديرِ ماءٍ لم أنتبه له، فتراشقت المياه على الجانبين ، كان النصبُ الأكبرُ منها لشباب جلسوا على عتبة أحد الأبواب ، ويا ليت شعري لو رأيت حالهم وقد تبدَّلت، فالثيابُ البيضاء كأنها سوداء، والشعراتُ السوداء خضبتُ بالطينِ والماءِ، فرجعتُ إليهم ، فلم أنتبه إلا على أصواتِ السبِّ واللَّعانِ ومناداتي للرفس والطَّعان !

يقول : فرجعتُ إليهم مسلماً معذراً متأسِّفاً، فياسبحان مقلب القلوب، تحوّل السبُّ واللَّعانُ إلى ترحيبٍ وسلامٍ، ودعوةٍ إلى الطَّعام ، بل إلى إخاءٍ ووفاءٍ !!

ألم يقل ﷺ: "بَسْمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ؟"

ألم يقل ﷺ: "والكلمة الطيبة صدقة ؟"

ألم يقل ﷺ: "وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ؟"

ألم يقل ﷺ: "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه؟"

ألم يقل ﷺ: "خير الناس أنفعهم للناس؟"

يقول ابن حزم رحمه الله متحدثاً عن تجربته مع نفسه وعن محاولاته في التخلص من عيوبه ، وعن النتائج التي حصل عليها من جرّاء ذلك، يقول : "كانت في عيوبٍ فلم أزل بالرياضة والإطلاع على ما قالت الأنبياء صلوات الله عليهم ، والأفاضل من الحكماء المتأخرين والمتقدمين في الأخلاق وآداب النفس ، أعاني مداواتها حتى أعان الله عزّ وجلّ على أكثر ذلك بتوفيقه ومنّه، وتمام العدل ورياضة النفس والتّصرّف بالأمر هو الإقرار بها - أي الإقرار بالعيوب - ليتعظّ بذلك متعظّ يوماً إن شاء الله "

قال عمر ؓ: "ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه"

وقال الحسن البصري : "المصافحة تزيد في المودة "

قال إبراهيم بن محمد الزُّهري : "خرّجتُ لأبي جائزته فأمرني أن أكتبَ خاصّته وأهلَ بيته ففعلتُ، فقال لي: تذكّر هل بقي أحدٌ أغفلناه؟ قلت : لا ، قال : بلى ، رجلٌ لقيني فسلم عليّ سلاماً جميلاً صِفْنُهُ كذا وكذا ، اكتب له عشرةً دنانير ."

قد يخزن الورعُ النقيُّ لسانه *** حدّر الكلام وإنه لمفوه

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم *** فطالما استعبد الإنسان إحساناً

إذا أنت صاحبت الرجال فكن فتى *** كأنك ملوك لكل رفيق
وكن مثل طعم الماء عذباً وبارداً *** على الكبد الحرى لكل صديق

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه *** وصدق ما يعتاده من توهم

وقال ابن بطال : "المدارة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة".

قال سلمة بن دينار: "السيئ الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته ثم ولده حتى إنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون منه فرقاً منه -أي خوفاً منه-، حتى إن دابته خيد ما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار، حتى إن قطه ليفر منه".

ليس الجمال بأثواب تزينا *** بل الجمال جمال العلم والأدب

وقال مطرف بن عبد الله لبعض إخوانه : "يا أبا فلان إذا كانت لك حاجة فلا تكلمني، واكتبها في رقعة فإني أكره أن أرى في وجهك دُلّ السؤال".

إذا أعسرت لم يعلم رفيقي *** وأستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظ لي ماء وجهي *** ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أنني سمحت بماء وجهي *** لكنت إلى العلاء سهل الطريق

وقال سفيان ابن عيينة : سمعت مساوراً الوراق يقول : "ما كنت لأقول لرجل إني أحبك في الله فأمنعه شيئاً من الدنيا!".

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته *** أتعبت نفسك في ما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها *** فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

هل ينفع الفتيان حسن وجوههم *** إن كانت الأخلاق غير حسان!؟

قال ابن القيم في الفوائد : " جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق في هذا الحديث، لأن تقوى الله يصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته."

عامل الناس جميعاً على أنهم بشرٌ يصيبون ويخطئون ، عُضَّ الطَّرْفَ وتغافل واصبر
ليس الغبي بسيد في قومه *** لكن سيد قومه المتغابي !
ولك أن تسرح بخيالك لترى المجتمع يعيش بهذه المعاني الجميلة ، فهي من أعظم مكارم الأخلاق ، فإن أبيت فأتهم ذلك الشخص ولا تعمم ، واثق الله فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان . (إبراهيم الدويش)

يقول النبي ﷺ: ((البرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ)) .
قال ابن القيم رحمه الله : " وهذا يدلُّ على أنَّ حَسْنَ الْخُلُقِ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ، وَهُوَ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَلِهَذَا قَابَلَهُ بِالْإِثْمِ فِي الْحَدِيثِ "

لا تغتر بحسن أخلاقك في الرِّخَاءِ، بل جرب نفسك في أوقات الشدَّة والعَضْبِ، وكلِّ الأحوال التي يُحْتَاجُ فِيهَا لِلْأَخْلَاقِ فِعْلاً، فالإيثَارُ عِنْدَ قِلَّةِ الرِّزْقِ، وَالْحِلْمُ عِنْدَ الْعَضْبِ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ، أَمَا فِي الرِّخَاءِ فَلَا فَخْرَ وَلَا فَضْلَ. (إبراهيم الدويش) .

حَسَنُ الْخُلُقِ أَرْكَائِهِ أَرْبَعَةٌ : الصَّبْرُ وَالْعَقَّةُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْعَدْلُ . وَسَوْءُ الْخُلُقِ أَرْكَائِهِ أَرْبَعَةٌ : الْجَهْلُ وَالظُّلْمُ وَالشَّهْوَةُ وَالْعَضْبُ .

يقول ابن المقفع: "وعلى العاقل أن يحصي على نفسه مساوئها في الدين وفي الأخلاق وفي الآداب، فيجمع ذلك كله في صدره أو في كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه ويكلمها إصلاحه، ويوظف ذلك عليها توظيفاً من إصلاح الخلة والخلتين والخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر، فكلما أصلح شيئاً محاه، وكلما نظر إلى محو استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكتئب."

(عشرون كلمة لطالب العلم)

قال معاذ بن جبل - ؓ -: "تعلّموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل أهل الجنة، وهو الأنس في الوحشة، والصاحب في العربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص أنارهم ويقتدى بأفعالهم، وينتهي إلى

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

رأيهم، ترغب الملائكة في خلّتهم، وبأجنتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيثان البحر وهوامه وسباع البحر وأنعامه. لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدراجات العلى في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسه تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، هو إمام العمل؛ والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء".

السّر في قلّة البركة في العلم والتعلّم اليوم وعدم التّأثر والتأثير، هو الغفلة عن الإخلاص لله في الطّلب، الغفلة عن الإخلاص لله في التّعليم والتّدرّيس. (إبراهيم الدويش)

نقل ابن كثير عن ابن مسعود أنه قال: "ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية".

وقال ابن سعدي: فكل من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية، وأوجب له خشية الله الانكفاف عن المعاصي والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته كما قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.

يا طالب العلم! وهل نتحمل العلم إلا من أجل أن نرقق قلوبنا ونربّي نفوسنا؟! إن تعلم مسائل العقيدة والأحكام لأجل صحة العمل ومعرفة الحلال والحرام، وإن تعلم مسائل العقيدة والأحكام لأجل القيام والناس نيام، وإن تعلم مسائل العقيدة والأحكام لأجل الصلّة والبرّ وبذل السّلام، ومن أجل إمساك اللسان عن بذاء الكلام، وإن تعلم مسائل العقيدة والأحكام لأجل نشر الحب والإخاء والوئام.. (إبراهيم الدويش)

اسمع لابن الجوزي وهو يقول في صيد الخاطر كلاماً نفيساً جميلاً: "إن للخلوة تأثيرات تبين في الجلوة، كم من مؤمن بالله - عز وجل - يحترمه عند الخلوات فيترك ما يشتهي حذراً من عقابه، أو رجاء لثوابه، أو إجلالاً له، فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عوداً هندیّاً على مجمر فيفوح طيبه فيستنشقه الخلائق لا يدرون أين هو، وعلى قدر المجاهدة في ترك ما يهوى تقوى محبته، أو على قدر مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب ويتفاوت تفاوت العود، فتري عيون الخلق تعظم هذا الشخص وألسنتهم تمدحه ولا يعرفون لهم، ولا يقدرّون على وصفه لبعدهم عن حقيقة معرفته، وقد تمتد هذه الأرايح بعد الموت على قدرها، فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة ثم ينسى، ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره وقبره، ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبداً، وعلى عكس هذا من هاب الخلق ولم يحترم خلوته بالحق، فإنه على قدر مبارزته بالذنوب وعلى مقادير تلك الذنوب يفوح منه ريح الكراهة فتمقته القلوب، فإن قل مقدار ما جنى قل ذكر الألسن له بالخير، وبقي مجرد تعظيمه، وإن كثر كان قصارى الأمر سكوت الناس عنه لا يمدحونه ولا يذمونه، ورب خال بذنوب كان سبب وقوعه

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

في هُوَّةِ شِقْمَةِ فِي عَيْشِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: ابْقِ بِمَا آثَرْتَ! فَيَبْقَى أَبْدًا فِي التَّخْبِيضِ، فَيَنْظُرُوا إِخْوَانِي إِلَى الْمَعَاصِي آثَرْتَ وَعَثَرْتَ".

قال ابن سعدي: "على أن من جدّ واجتهد في طلب العلم الشرعي فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية خارجة عن مدرك اجتهاده، ويسر له أمر العلم. فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق؛ وهو الجهاد بالقول واللسان للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزع المخالفين للحق ولو كانوا مسلمين، فلا بد لطالب العلم من مجاهدة النفس والصبر والمصابرة".

جِدِّي لَا جِدِّي كُلُّ مَجْدِي فَهَلْ جَدُّ بِلَا جِدِّ مُجْدِي
فَكَمَ عَبْدٌ يَقُومُ مَقَامَ حُرٍّ وَكَمَ حُرٌّ يَقُومُ مَقَامَ عَبْدٍ

قال الشافعي - رضي الله تعالى عنه -: "من أحب أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم فعليه بالخلوة، وقلّة الأكل، وترك مخالطة السفهاء، وبغض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب".

قال ابن القيم في مدارج السالكين: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: "بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين". ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يُهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾

قال ابن القيم في فضل العلم: "الوجه الحادي والثلاثون بعد المائة: أنه لو لم يكن من فوائد العلم إلا أنه يثمر اليقين الذي هو أعظم حياة القلب، وبه طمأنينته وقوته ونشاطه وسائر لوازم الحياة..، إلى أن قال: "وقيل: إذا استكمل العبد حقيقة اليقين صار البلاء عنده نعمة، والمحنة منحة، فالعلم أول درجات اليقين..".

وقال إسماعيل بن أبي أويس: "إذا هممت أن تحفظ شيئاً فتم، ثم قم عند السحر فأسرج وانظر فيه فإنك لا تنساه بعد - إن شاء الله -"

وقال ابن سعدي - رحمه الله -: "يتعين البداءة بالأهم من العلوم الشرعية وما يعين عليها من علوم العربية، وتفصيل هذه الجملة كثير معروف، يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص..".

* فوائد متناثرة *

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

ينبغي لطالب العلم ألا يستنكف أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه منصباً أو نسباً أو سناً، بل يكون حريصاً على الفائدة حيث كانت، والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها. (إبراهيم الدويش)

قال سعيد بن جبير: "لا يزال الرجل عالماً ما تعلم، فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده؛ فهو أجهل ما يكون".

إنَّ التواضعَ من خصالِ المتَّقِي وبه التَّقِيُّ إلى المعالي يرتقي
ومن العجائبِ عَجْبٌ من هو جاهلٌ في حاله أهو السَّعِيدُ أم الشَّقِي

قال ابن تيمية: "وقد يُبتلى بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله لعلم نافع أو عمل صالح، وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم".

يقول الأوزاعي: "إذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم الجدَل ومنعهم العمل".

ذكر ابن القيم أسباب انشراح الصدر وقال: "ومنها العلم، فإنه يشرح الصدر ويوسِّعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس، فكُلُّما اتَّسع علمُ العبدِ انشراح صدره واتَّسع، وليس هذا لكُلِّ علم بل للعلم الموروث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدراً، وأوسعهم قلباً، وأحسنهم أخلاقاً وأطيبهم عيشاً"

تعلَّم فإنَّ العلمَ زينٌ لأهله وفضلٌ وعنوانٌ لكلِّ المحامدِ
وكُنْ مستفيداً كلَّ يومٍ زيادةً من العلمِ واسبَحْ في جَارِ الفوائدِ
تفمِّه فإنَّ الفقهَ أفضلُ قائدٍ إلى البرِّ والتَّقوى وأعدَلُ قاصدِ
هو العلمُ الهادي إلى سننِ الهدى هو الحصنُ يُنجي من جميعِ الشَّدائدِ
فإنَّ فقيهاً واحداً متورِّعاً أشدُّ على الشَّيطانِ من ألفِ عابدِ

قال ابن الجوزي: "الله الله في العمل بالعلم، فإنه الأصل الأكبر، والمسكين كلُّ المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاته لدات الدنيا وخيرات الآخرة، فقدم مفلساً مع قوَّة الحجَّة عليه".

يقول أبي بن كعب: "تعلّموا العلم واعملوا به، ولا تتعلّموا لتجملوا به، فإنه يوشك إن طال بكم زمان أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه".

يقولُ شيخ الإسلام ابن تيمية : " إذا لم تجدِ للَعَمَلِ حلاوةً في قلبك وانشراحاً فائهمه، فإنَّ الربَّ تعالى شكورٌ. يعني أنه لا بدُّ أن يثيبَ العاملَ على عمله في الدُّنيا من حلاوةٍ يحدُّها في قلبه، وقوَّةٍ انشراحٍ وقوَّةٍ عينٍ، فحيث لم يجدِ ذلكَ فعمله مدخولٌ "

(التوحيد وأثره في النفوس)

قال ابن القيم كلاماً جميلاً عن التوحيد : "التوحيد أشف شيء وأنزهه وأنظفه وأصفاه ، وأدنى شيء يحدشه ويدنسه، ويؤثر فيه ، فهو كأبيض ثوب يكون ، يؤثر فيه أدنى أثر، وكالمرآة الصافية جداً ، أدنى شيء يؤثر فيها ، ولهذا تُشوشه اللحظة، واللفظة والشهوة الخفية، فإن بادر صاحبه وقلع ذلك الأثر بضده، وإلا استحكم وصار طبعاً يتعسر عليه قلعه... الخ"

((لا إله إلا الله)) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فإن المسلمين وإن اشتركوا في الإقرار بها، فهم متفاضلون في تحقيقها تفاضلاً لا نقدر أن نضبطه " .

ويقول ابن القيم : " فالمسلمون كلهم مشتركون في إتيانهم بشهادة أن لا إله إلا الله ، وتفاوتهم في معرفتهم بمضمون هذه الشهادة، وقيامهم بحقها باطنا وظاهراً أمر لا يخصه إلا الله "

قال ابن القيم وقال أيضاً في (الداء والدواء) : " فإن من الناس من تكون شهادته ميتة ، ومنهم من تكون نائمة إذا نبهت انتبهت ، ومنهم من تكون مضطجعة ، ومنهم من تكون إلى القيام أقرب ، وهي - أي الشهادة - في القلب بمنزلة الروح من البدن، فروح ميتة ، وروح مريضة إلى الموت أقرب، وروح إلى الحياة أقرب ، وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن ... " .

يا من يرى من البعوض جناحها
ويرى مناط عرووقها في صدرها
امن علي بتوبة تح بها
في ظلمة الليل البهيم الأليل
والمخ في تلك العظام النخل
ما كان مني في الزمان الأول

أنت الذي صورتني وخلقمتني
أنت الذي علمتني ورحمتني
أنت الذي أطعمتني وسقيتني
وجبرتني وسترتني ونصرتني
أنت الذي أويتني وحبوتني
وزرعت لي بين القلوب مودة
وهديتني لشرائع الإيمان
وجعلت صدري واعياً القرآن
من غير كسب يد ولا دكان
وغمرتني بالفضل والإحسان
وهديتني من حيرة الخذلان
والعطف منك برحمة وحنان

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

وسترت عن أبصارهم عصيان
حتى جعلت جميعهم إخوان
لأبي السلام علي من يلقاني
ولبؤت بعد كرامة بهوان
وحلمت عن سقطي وعن طغيان
بخواطري وجوارحي ولساني
مالي بشكر أقلهن يدان

ونشرت لي في العالمين محاسناً
وجعلت ذكري في البرية شائعاً
والله لو علموا قبيح سريرتي
ولأعرضوا عني وملوا صحبتي
لكن سترت معايبي ومثالي
فلك المحامد والمدائح كلها
ولقد مننت علي رب بأنعم

يقول ابن تيمية: "والناس وإن كانوا يقولون بألسنتهم لا إله إلا الله، فقول العبد لها مخلصاً من قلبه: له حقيقة أخرى"

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبته لغيره، إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا أذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله، ومحبته له وإخلاصه الدين له .."

واسمع لابن القيم رحمه الله يقول: "اعلم أن أشعة لا إله إلا الله تبعد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور قوة وضعفاً لا يحصيه إلا الله تعالى .

فمن الناس من نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس .

ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري .

ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم .

وآخر كالسراج المضيء .

وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، وبحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة علماً وعملاً ومعرفة وحالاً، وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد، أحرقت من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته"

يقول ابن القيم: "إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعوائد، من تركها لغير الله، فأما من تركها صادقاً مخلصاً من قلبه لله، فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة ليمتحن أصادق هو في تركها أم كاذب"

(الأتقياء)

قال ابن رجب - رحمه الله تعالى - : "وما زالت التَّقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلالِ مخافة الوقوع في الحرام".

ذكر الذهبي في السير، قال الحسين عيسى - مولى عبد الله بن المبارك -: "اجتمع جماعة فقالوا: تعالوا نعدّ خصال ابن المبارك من أبواب الخير. فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والرّهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحجّ، والغزو، والفروسيّة، والقوّة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلّة الخلاف على أصحابه!!"

إذا سار عبدُ الله من مرو ليلةً فقد سارَ منها نورها وجمالها

إذا دُكرَ الأخيارُ في كلِّ بلدةٍ فهم أجمٌ فيها وأنتَ هالئها

وداؤ ضمير القلب بالبرّ والتقى فلا يستوي قلبان قاسٍ وخاشعٌ

يقول الإمام حمّاد بن زيد رضي الله عنه: "كنتُ صغيراً مع أبي فمررنا من جدار فيه تبن، فأخذتُ من الجدار عودَ تبنٍ فوقف أبي ونظرَ إليّ كأنه ينهرني. فقال لي: لِمَ أخذت؟ يقول حمّاد: فقلتُ براءة الصّغير: يا أبتاه! إنه عودُ تبنٍ؟ فقال الأب - واسمع لأولئك الآباء -: يا بني لو أنّ كلَّ أحدٍ مرَّ من الجدار أخذَ عودَ تبنٍ هل كان يبقى في الجدار تبنٌ؟!"

إذا ما خلوتَ الدَّهرَ يوماً فلا تُقلِّ ولا تحسبنَّ الله يغفلُ ساعةً
خلوتُ ولكن.. قُل عليّ رقيبٌ ولا أن ما تخفي عليه يغيبُ

انظر لابن المبارك - رحمه الله تعالى - يقول القاسم بن محمّد عنه: "كُنّا نساfer مع ابن المبارك فكثيراً ما كان يخطرُ ببالي، فأقولُ في نفسي: بأيّ شيءٍ فضّلَ هذا الرجلُ علينا حتى اشتهرَ في النَّاسِ هذه الشُّهرة؟! إن كان ليصليّ إنّما ليصليّ، ولئن كان يصومُ إنّما لنصومُ، وإن كان يغزو إنّما لنغزو، وإن كان يحجُّ إنّما لنحجّ. قال: فكُنّا في بعضِ مسيرنا في طريقِ الشّام ليلةً نتعشّي في بيتٍ إذ انطفأ علينا السّراجُ، فقام بعضنا لإصلاحِ السّراج، فكانت هنيهةً - أي لحظةً من اللحظات - ثمَّ جاء السّراجُ فنظرتُ إلى وجهه - رحمه الله تعالى - وقد ابتلتَ لحيته بكثرة الدّموع. فقلتُ في نفسي: بهذه الخنثية فضّلَ هذا الرجلُ علينا، ولعلّه قد السّراجُ فصارَ إلى الظلمة فذكر القيامة فتأثّر."

ذكر ابن الجوزي في "صفة الصّفوة" أنّ مطرَ الوراق وصاحبه هرم بن حيّان كانا يصطحبان أحياناً بالنّهار فيأتیان سوق الرياحين فيسألان الله الجنّة ويدعوان، ثمّ يأتیان الحدادين فيعودان من النّار، ثم يتفرقان إلى منازلهما.

كُنَّا قِلَادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ وانفِرطتْ
 كَانَتْ مَنَازِلُنَا فِي العَزِّ شَامِخَةً
 فَلَمْ نَزَلْ وَصِرُوفُ الدَّهْرِ تَرْمِئُنَا
 حَتَّى غَدُونَا وَلَا جَاهٌ وَلَا نَسَبٌ
 وَفِي يَمِينِ العُلَا كُنَّا رِيَاحِينَا
 لَا تَشْرِقُ الشَّمْسُ إِلَّا فِي مَغَانِينَا
 شَرَزْرَأَ وَخَدَعْنَا الدُّنْيَا وَتُلْهِينَا
 وَلَا صَدِيقٌ وَلَا خَلٌّ يُوَاسِينَا

اسمع لكلمات ابن رجب - رحمه الله تعالى - في كتابه تحقيق الإخلاص عندما قال: "يا قوم! قلوبكم على أصل الطهارة، وإنما أصابها رشاشٌ من جاسة الدُّنوب، فرشُّوا عليها قليلاً من دموع العيون وقد طهرت، اعزموا على فطام النفوس عن رضاع الهوى، ذكروها مدحه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ ، عرفوها اطلاع من هو أقرب إليها ﴿من حبل الوريد﴾ لعلها تستحي من قربه ونظره، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾.

من كان بالله أعرف، كان لله أخوف

(روائع الأسرار)

قلت ليل هل بجوفك سرّ عامر بالحديث والأسرار
 قال لم ألق في حياتي حديثاً كحديث الأحاب في الأسحار

نحن الذين إذا أتانا سائلٌ نوليه إحساناً وحسن تكرم
 ونقول في الأسحار هل من نائبٍ مستغفرٍ لينا لخير المغنم

قال سفيان: "إن لله ريحاً مخزونة تحت العرش تهبُّ عند الأسحار فتحمل الأنين والاستغفار"

يا طيبَ ماكلهم وطيبَ مشربهم وطيبَ ما نزلوا وطيبَ ما ساروا
 هو اللذاد وإن عزّت مطالبه وهي الأمانى وإن شطت به الدار
 إن ينطقوا فتلاواتٌ وأذكار أو يسكتوا فاعتبارات وأفكار
 حدّث حديثهم لله درهمٌ ففي حديثهم شربٌ وإسكار

وكلّهم بات بالقرآن مندمجاً كأنه الدّم يسري في خلاياه
 فالأذن سامعة، والعين دامعة والرّوح خاشعة والقلب أواه

لبستُ ثوبَ الرّجاء والناسُ قد رقدوا وقمتُ أشكو إلى مولاي ما أجدُ
 وقلت: يا عدّتي في كلّ نائبة ومنّ عليه لكشف الضرّ أعتدّ

أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ما لي على حملها صبرٌ ولا جلدٌ
وقد مددت يدي بالذلِّ معترفاً إليك يا خير من مُدَّت إليه يدُ
فلا تردنها يا ربَّ خائبة فبحر جودك يروي كلَّ من يردُّ

يقول ابن القيم رحمه الله: " تأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين بالجنة "

سفيان الثوري كان إذا أصبح مدَّ رجله إلى الحائط، ورأسه إلى الأرض كي يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل، وكان يقول: " إذا جاء الليل فرحت، وإذا جاء النهار حزنت "

أبو سليمان الداراني يقول: " بينما أنا ساجد إذ ذهب بي النوم، فإذا أنا بالحوراء قد ركضتني برجلها، فقالت: يا حبيبي أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم؟ بؤساً لعين آثرت لذة نوم على مناجاة العزيز، قم فقد دنا الفراغ، ولقي المحبون بعضهم بعضاً، فما هذا الرقاد؟ حبيبي وقرة عيني، أترقد عيناك وأنا أرئى لك في الخدور منذ كذا وكذا؟ قال أبو سليمان: فوثبت فزعاً وقد عرقت استحياءً من توبيخها إياي، وإن حلاوة منطقتها لفي سمعي وقلبي "

ومن لم تقر عينه بالله فلا قرت، ومن لم يأنس بالله فلا أنس

ومن روائع الأسحار ما قاله الهيثم بن جَمَّاز عن زوجته قال: " كان لي امرأة تقوم الليل وكنت لا أصبر معها على السَّهر، فكنت إذا نعست ترشُّ عليَّ الماء في أثقل ما أكون من النوم وتنبهني وتقول: أما تستحي من الله، إلى كم هذا الغطيظ؟ فوالله إن كنت لأستحي بما تصنع "

قال أبو الزناد: " كنت أخرج من السحر إلى مسجد النبي ﷺ فلا أمر ببيت إلا وفيه قارئ "

أيها الغافلون اللأهون جاهدوا أنفسكم لتذوقوا السَّعادة الحقيقية، ولتعيشوا صفاء الحياة بصدق، نعم أنتم في لذة وشهوة وسعادة وأنس، لكنها لحظات ثم تعقبها العُصَصُ والآهات والقلق والحسرات، فكم اعترف العُباد منكم عباد الهوى: نشعر باللذة وقت الوقوع بالمعصية، ثم قلق وهم، وحسرات وغم، خوف وندم، تردُّ واضطرابٌ وحيرة، حتى وصل الأمر لشيء لم نكن نعرفه في مجتمعاتنا الطاهرة، فكم أولئك الشباب والفتيات الذين قالوها بالسنتهم وسمعتها منهم بأذني: نفكر بالانتحار، حاولت الانتحار، انتهت

من بعض خطب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدويش

الدنيا بعيني، كل شيء أسود في حياتي. فيا أخي ويا أختي: هذه هي اللذة والسعادة التي تدعوها مليئة بالغصص . (إبراهيم الدويش)

قال عبد الله بن وهب: " كل ملذوذ إنما له لذة واحدة، إلا العبادة فإن لها ثلاث لذات: إذا كنت فيها، وإذا تذكرتها، وإذا أعطيت ثوابها "

وهذا أبو سليمان الداراني يقول: " لأهل الطاعة في ليلهم ألد من أهل اللهو بلهوهم "

أعلمتم أن التَّسِيمَ إذا سَرَى حمل الحديث إلى الحبيب كما جرى
جَهْلَ الحبيب بأني في حبِّهم سَهَرَ الدُّجَى عندي ألدُّ من الكَرَى

ذكر الإمام أحمد في كتاب الزهد قال: " تمثَّلَ محمدُ بن نافع في السَّحَرِ ببيتٍ من الشَّعْرِ فرجع هرم عليه السوط وجلده على الظهر قائلاً له: أفي هذه الساعة التي ينزل فيها الرحمن ويستجاب فيها الدعاء تتمثَّلُ بالشعر "

وصف شميظ بن عجلان أبناء الدنيا فقال: " دائم البطنة، قليل الفطنة، إنما همُّه بطنه وفرجه وجلده يقول: متى أصبح فأكل وأشرب ، وألهو وألعب، ومتى أمسى فأنام ،جيفة بالليل بطالٌ بالنهار، ويحكُّ ألهذا خلقت ، أم بهذا أمرت ، أم بهذا تطلب الجنة وتهرب من النار ."

جاء رجلٌ إلى محمد بن سيرين فقال له : علِّمني العبادة. فقال له ابن سيرين: " أخبرني عن نفسك كيف تأكل؟ قال: أكل حتى أشبع، فقال: ذاك أكل البهائم. قال: كيف تشرب الماء؟ قال: أشرب حتى أروي. قال: ذاك شرب الأنعام، اذهب فتعلم الأكل والشرب ثم تعال حتى أعلمك العبادة "

فاعلم أخي الحبيب : أن قيام الليل مدرسة يُدرس فيها الكثير من الدروس، ويتربى فيها الكثير من الناس ، ويتخرج منها المخلصون الصادقون الصابرون، يحملون فيها شهادة، النتائج فيها ظاهرة باهرة، فمن الإخلاص وحقيقته، وأثاره وحلاوته، إلى الصبر وتحمل الشدائد، إلى صدق اليقين والتوكل على الله، إلى لذة الخلوة والمناجاة .. (إبراهيم الدويش)

اصبر على مَضَضِ الإِدلاجِ في السَّحَرِ وفي الرِّواحِ على الطاعات والبُكر
لا تضجرن ولا يُعجزك مطلبها فالهمُّ يتلف بين اليأس والضجر
إني رأيت وفي الأيام تجرِّبة للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقلَّ من جدَّ في أمر تطلَّبه واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

سئل شيخ الإسلام عن الوتر؟ فقال: "الحمد لله، الوتر سنة مؤكدة باتفاق المسلمين، ومن أصر على تركه فإنه تُرد شهادته، والوتر أؤكد من سنة الظهر والمغرب والعشاء، والوتر أفضل من جميع تطوعات النهار، كصلاة الضحى، بل أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل، وأؤكد ذلك الوتر وركعتا الفجر والله أعلم"

قال الإمام أحمد بن حنبل: من ترك الوتر عمداً فهو رجل سوء، ولا ينبغي أن تُقبل له شهادة"

"سأل رجل الحسن البصري فقال: يا أبا سعيد، أعياني قيام الليل فما أطيقه؟! فقال: يا ابن أخي استغفر الله وتب إليه، فإنها علامة سوء"

قال الحسن البصري: "إذا لم تقدر على قيام الليل، ولا صيام النهار، فاعلم أنك محروم، قد كبلتك الخطايا والذنوب"

قال الثوري: "عليكم بقلة الأكل تملكو قيام الليل"

هل يخذل الأخ من في الله أخاه	فيا إخوتي ليس لي منكم سوى طلب
وقام قائمكم لله ناجاه	إذا قرأتم وصليتم صلاتكم
وبللت وجهه بالدمع عيناه	وهزت الأرض بالتسبيح سجده
لِلْحُسْنِيِّينَ: بدنياء وأخراه	وراح يدعو بما يخلو له طلباً
بظهر غيب وستر الليل ناجاه	فلا تخلو أخاكم من دعائكم
وادعوا " لسيد ": لا تتركه رياه	ولتشفعوا لي إلى ربي وربكم
فليس أكرم منه في عطاياه	ادعوه يمنحني عفواً وعافية
من استقاموا وقالوا ربنا الله	ادعوه يقبلني في المخلصين له
ومن شفعتم له يكرمه مولاه	وأنتم القوم لا يشقى جليسكم

* ---- * ---- * ---- *

تمت بحمد الله ...

المحتويات

رقم الصفحة	العنوان	م
١	مقدمة	١
٢	عرفات عبر وعبرات	٢
٣	تعال نتعاب	٣
٥	السهم المسموم	٤
٧	غناء الألسنة	٥
١١	موقف المسلم في الأزمات	٦
١٦	توجيهات وأفكار في تربية الصغار	٧
١٨	تعالوا نطلب العلم	٨
٢٦	دمعة تائب	٩
٢٨	الكنز المفقود	١٠
٣١	عشرون وسيلة لنصرة الأقصى	١١
٣٣	الأتقياء	١٢
٣٥	بشائر ومبشرات	١٣
٣٦	طريقنا للقلوب	١٤
٤٠	عشرون كلمة لطالب العلم	١٥
٤٤	التوحيد وأثره في النفوس	١٦
٤٥	الأتقياء	١٧
٤٧	روائع الأسحار	١٨
٥١	الفهرس	١٩